أحاديث (عَجِبَ رَبُّكُم ...)

دراسة حديثية

(جزءٌ فِي تَعَجُّبِ رَبِّنَا مِنْ بَعْضِ أعمال عِبَادِهِ من الطاعات)

جمع وإعداد

د / عماد علي عبد السميع حسين

أستاذ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ المساعد – بِكُلِّيَّةِ الْآدَابِ
جَامِعَةِ أُسْيُوط

أحاديث (عَجِبَ رَبُّكُم ...) دراسة حديثية

(جزءٌ فِي تَعَجُّبِ رَبِّنَا مِنْ بَعْضِ أعمال عِبَادِهِ من الطاعات)

عماد علي عبد السميع حسين
قسم الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِكُلِّيَّةِ الْآدَابِ جَامِعَةِ أُسْيُوط ، مصر .
البريد الإلكتروني : alazhary333@yahoo.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى إيجاد طريقة عملية في التفكير حول مسألة من أهم المسائل التي شغلت حيزاً من التفكير الإسلامي ألا وهي مسألة الصفات الإلهية وذلك من خلال جمع الأحاديث النبوية التي تثبت صفة العجب لله – عز وجل كما يليق بجلاله – ودراستها على طريقة أهل الحديث، لمحاولة إيجاد نقطةٍ سواءٍ تجمع فرقاء المؤمنين بصفات الله – ﷻ – بعيداً عن لجج المعارك الكلامية التي تفرق ولا تجمع، بعبارة أخرى: يختلف المختلفون حول معنى الصفة من صفات الله – ﷻ – فيستنفدون كل طاقتهم في الخلاف ويكتفون بهذا دون أن تؤثر فيهم سلوكياً أو أخلاقياً .

بدأ الباحث ببيان العجب في حق الله – تعالى – ثم نبه على خطورة الجهل بصفات الله، ثم جمع عشرة أحاديث شكلت جزءً حديثياً في تَعَجُّبِ رَبِّنَا – سبحانه – مِنْ بَعْضِ مَا يَصْنَعُ عِبَادُهُ مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ .

الكلمات المفتاحية : أحاديث، عَجِبَ، رَبُّكُم، دراسة، حديثية.

Prophetic Traditions (Hadiths) that Would Appeal to and Satisfy Your Lord: A Study of Prophet Muhammad's Traditions Apart in God's wonder of what some of his worshippers do in what is done to get closer to him.

Emad Ali Abd-Elsami Husain
Department of: Islamic Studies, Faculty of Arts, Assiut University, Egypt
Emil : alazhary333@yahoo.com

Abstract

This research seeks to find a practical way of thinking about one of the most important issues that took up a space of Islamic thinking which is divine attributes. This is done by collecting the hadiths (Prophet Muhammad's traditions) that prove the characteristic of satisfying God - the Almighty as befits His Majesty - and by studying them in the manner of the people of Hadith (tradition), to try to find a common ground where the conflicting parties of believers in the attributes of God Almighty gather - far from the complications of verbal battles that divide and not combine where everyone fights in them wishes to win and harm his friend.

In other words, those who disagree over the meaning of a certain divine attribute exhaust all their energy in clashes and disagreements and are only satisfied with this without being positively affected by the attributes of Allah behaviorally or morally.

The researcher started with showing god's Almighty wonder, reminded the danger of unawareness of god's characteristic, then collected ten Hadith that made a part of Prophet Muhammad's Traditions in god's Almighty wonder of what people do to worship him.

Keywords: Prophetic Traditions, (Hadiths), That Would Appeal, Satisfy Your Lord

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فإنه من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

ثم أما بعد:

فإن الله – ﷻ – له الأسماء الحسنى، وكل أسمائه وصفاته حسنى، ويحب أن يَمجد ويُدعى بها، فقد أمر بذلك في كتابه فقال: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف: ١٨٠]، وقال ممتدحاً نفسه بأسمائه الحسنى: { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر: ٢٤] .

والقاعدة في الأسماء الحسنى: أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وأن الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها، وأن الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف ولا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها.

ولكل صفة من صفات الله أثر في قلب المؤمن، وقد يظن أهل الجهل

أن معرفه أسماء الله وصفاته لا تؤثر في الإيمان بالله من حيث الزيادة والنقصان ولا تؤثر في القلوب، ولذلك لا فائدة من معرفتها أو جهلها أو إثباتها أو إنكارها، وقد توسع في هذا الجانب الفلاسفة الذين وصفوا الله – تعالى – بصفات من عند أنفسهم، وأنكروا وجحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فانحرفوا عن منهج الوسطيّة، ووقعوا في الإفراط والتفريط، وابتعدوا عن الصراط المستقيم ومنهج الاعتدال الذي بيّنه القرآن الكريم .

وليس مقصود هذا البحث الدخول في المعركة الكلامية بين الأشاعرة والسلف وغيرهم حول مسائل الصفات، فتلك معركة لا تنتهي، وإنما القصد الوقوف على جملة من الأعمال الصالحة التي تُعجِب الرب – تعالى – وترضيه من عباده .

بعبارة أخرى أقول: لو أن الإنسان منا استوقفه شخصٌ محبوبٌ لديه – أو عظيمٌ ذو مكانة – فقال له: أنا معجبٌ بك، ويعجبني منك كذا وكذا، لزاده هذا حرصاً على الاستمرار في فعل هذا العمل الذي يُرضي محبوبَه ويُعجِبُه .

وقد سُقت هذا التوضيح ليستحضر المؤمن حالة إعجاب الرب سبحانه بعبده ورضاه عن عمله، فتزداد معرفته بربه، ويدوم اتصاله بخالقه .

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها:

١- الآثار الظاهرة في سلوكيات الأفراد و المجتمعات للجهل بصفات الله – ﷻ – والتي أثمرت انحرافًا سلوكيًا أشقى الأفراد والمجتمعات.

٢- ضعف الهمم عن محاولة البحث عن أعمال تكون سببا في مرضاة الرب - ﷻ - فأردت الإرشاد إلى جملة من الأعمال الصالحة التي تُعجب الرب - سبحانه - وتُرضيه.

٣- البحث عن طريق وسطٍ قد يجمع المختلفين في الصفات الإلهية - إذا أنصفوا - وهو تحقيق الثمرة التي يدعيها كل واحد منهم وهي قصده تنزيه الله وتعظيمه من خلال فعلِ ما يُقَرِّبُ من مرضاته ويُبَاعِدُ من سخطه.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في ظاهرة الخلاف حول تفسير الصفات الإلهية، والذي يؤدي في الأغلب الأعم إلى شق الصف وضياع الجهد والانشغال بالخلاف عن تحقيق الثمرة الحقيقية للإيمان بصفات الله ألا وهي معرفة الله، ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه، ومعرفة جوانب العظمة في ذاته - ﷻ -.

هدف البحث:

يهدف البحث الي الوصول إلى نقطةٍ وسطٍ تجمع فرقاء المؤمنين بصفات الله - ﷻ - من خلال جمع الأحاديث التي ورد فيها إثبات العجب لله - ﷻ - ودراستها بعيدًا عن المعارك الكلامية التي تضيع الجهود وتؤسس للعداوة بين المؤمنين .

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث استعمال المنهج الاستقرائي في جمع الأحاديث وتتبع شروحها في مظانها، ثم المنهج الاستنباطي في استنباط ما في الأحاديث من فوائد وأحكام وتوجيهات .

الدراسات السابقة:

لم أجد في حدود علمي بحثاً مستقلاً جمع أحاديث: (عجب ربكم ...) واستخرج فقهها ووظَّفها في تفعيل دور الإيمان بالله وصفاته في إصلاح المجتمع ، لكن في بطون كتب العقيدة يورد المصنفون بعضها لإثبات صفة العجب لله – ﷻ – باختصار شديد، وسيفيد الباحث من كل ما تناثر عن الموضوع في كتب التراث .

خطة البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، واثنا عشر مبحثاً، وخاتمة.

المقدمة: فيها فكرة الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة الدراسة ...

المبحث الأول: معنى العجب في حق الله – تعالى –.

المبحث الثاني: خطر الجهل بصفات الله – تعالى –.

المبحث الثالث: عجب الله من راعي غنم يؤذن ويصلي .

المبحث الرابع: عجب الله – تعالى – من العبد يقوم فيصلي بالليل .

المبحث الخامس: عجب الله – تعالى – من عبده يقاتل عند انهزام القوم حتى يقتل .

المبحث السادس: عجب الله – تعالى – من الشاب العفيف .

المبحث السابع: عجب الله – تعالى – من مداعبة الرجل لزوجته .

المبحث الثامن: عجب الله – تعالى – من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل.

المبحث التاسع: عجب الله – تعالى – من الرجل يكرم ضيفه .

المبحث العاشر: عجب الله – تعالى – من قنوط عباده وسرعة إجابته.

المبحث الحادي عشر: عجب الله – ﷻ – من اعتقاد عبده أنه لا يغفر الذنوب إلا الله.

المبحث الثاني عشر: عجب الله – ﷻ – من رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة .

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلتُ إليها من الدراسة.

المصادر والمراجع .

وكتبه

د/ عماد علي عبد السميع حسين

المبحث الأول

معنى العجب في حق الله - تعالى

إن الحديث عن معنى العجب قد يقود إلى طريق بينتُ من قبل أنه ليس من مقصود البحث، وهو الخلاف المشهور بين الفرق الكلامية حول قضية الأسماء والصفات، من ناحية تأويلها أو إثباتها كما هي مع نفي التشبيه أو التعطيل أو التكييف، لذلك سأعرض معنى العجب في اللغة أولاً، ثم في الاصطلاح، ثم أحاول أن أسلك طريقاً وسطاً، في الجمع بين الوجهتين .

أولاً: العجب في اللغة:

(العجب إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده ... وقد عجب منه عجبًا وتعجب واستعجب ... والاسم العجيبة والأعجوبة، والتعاجيب العجائب لا واحد لها، وأعجبه الأمر حمله على العجب ... وأعجب به عجب وعجبه بالشيء نبهه على التعجب منه، وأمرٌ عجبٌ وعجيبٌ وعُجَاب ... وعجب عاجب وعُجاب على المبالغة، وقال صاحب العين بين العجيب والعجاب فرق، أما العجيب: فالعجب يكون مثله وأما العجاب فالذي يجاوز حد العجب، وأعجبه الأمر سره وأعجب به كذلك على لفظ ما تقدم في العجب، وأمر عجيبٌ مُعجب ... والعُجْبُ الزهو، ورجل مٌعجَبٌ مَزْهوٌ بما يكون منه حسنًا أو قبيحًا) [(١)].

وقال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): (عجب: قال الله- جل وعز -: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قرأ حمزة والكسائي: { بَلْ عَجِبْتُ ويَسْخَرُونَ } [الصافات: ١٢]

(١) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده: ٣٣٨/١.

بضم التاء، وهكذا قرأ علي وابن عباس. وقرأ ابن كَثِير، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: (بل عجبتَ) بنصب التاء. وقال الفراء: والعجب وإن أُسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العباد؛ ألا ترى أنه قيل: { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } [التوبة: ٧٩]، وليس السُّخْريُّ من الله كمعناه من العباد، وقال الزجاج: أصل العجب في اللُّغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكرُه ويَقِلُّ مثله قال: قد عجبتُ من كذا وعلى هذا معنى قراءة من قرأ (بل عجبتُ)، لأن الآدمي إذا فعل ما ينكره الله جاز أن يقول فيه عجبتُ، والله قد عَلِم ما أنكره قبل كونه، ولكن الإنكار والعَجَب الذي تلزم به الحجةُ عند وقوع الشيء، وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: العَجَب: النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد، وقال: العِجْب: الذي يحبُّ محادثة النساء ولا يأتي الرِّيبة. والعُجْب: فَضلة من الحُمْق. صَرَفَها إلى العُجْب.

وروى أبو العباس عن عمرو عن أبيه قال: العَجْب والعِجْب والعُجْب: الرجل الذي يعجبه القُعود مع النساء، قال: والعَجْب: عَجْب الذنب، وهو العُصعُص، وقال الليث: ... الاستعجاب: شدة التعجُّب... ويقال أعجبنى هذا الشيء وأُعجِبتُ به، وهو شيء معجِب، إذا كان حسناً جدا. والمُعجَب: الإنسان المُعجَب بنفسه أو بالشيء. وتقول: عجّبت فلاناً بشيء تعجيباً فعجب منه)[1].

وفي المعجم الوسيط: (عجب) منه عجبا ... أنكره لقلة اعتياده إياه، وأعجبه الأمر حمله على العجب منه ... وسُرَّ به فهو مُعجَبٌ ... وأعجب

(١) تهذيب اللغة: الأزهري: ١١٧/١.

بنفسه ترفع واستكبر ... (استعجب) اشتد تعجبه، و(الأعجوبة) ما يدعو إلى العجب ... و(التعجب) (في النحو) استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب وصيغتا، التعجب عندهم ما أفعله وأفعل به، مثل ما أحسنه وأحسن به ... و(العجب) روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء، يقال هذا أمر عجب وهذه قصة عجب وعجب عاجب شديد للمبالغة ...) [1].

وعلى هذا فأبرز دلالات العجب في اللغة:

١- إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده .

٢- استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب .

٣- السرور والرضى والاستحسان .

والأول والثاني يستحيلان في حق الله – تعالى – أما الثالث فيجوز إطلاقه على الله – ﷻ – مع اعتقاد عدم المشابهة أو التكييف، كما أشار الفراء سابقاً: (والعجب وإن أُسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العباد) .

ثانياً: العجب في الاصطلاح:

بعد عرضنا لأقوال بعض أهل اللغة في دلالة لفظة (عجب) نعرج باختصار على كتب علماء الأصول للوقوف على معنى العجب في حق الله – ﷻ –.

ولهم في ذلك اتجاهان:

الاتجاه الأول: وهو اتجاه أهل التأويل [2]، وملخص قولهم: (التعجب

---

(١) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات، وآخرين: ٢/ ٥٨٤ .

(٢) من أروع ما ذكر عن ابن تيمية من إنصافه لأهل التأيل وقد ذكر عدداً منهم فقال: (ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في =

انفعال يحدث فِي النَّفس عِنْد الشُّعُور بِأَمْر خَفِي سَببه وَخرج عَن نَظَائره، وَلِهَذَا يُقَال: إِذا ظهر السَّبَب بَطل الْعجب، فَلَا يُطلق على الله أَنه متعجب لِأَنَّهُ لَا يخفى عَلَيْهِ شَيْء، وَلِهَذَا قَالَ شُرَيْح لما قرئَ عِنْده - بل عجبت - بِضَم التَّاء: إِن الله لَا يعجب من شَيْء، إِنَّمَا يعجب من لَا يعلم، قَالَ الْأَعْمَش فَذكرت ذَلِك لإِبْرَاهِيم فَقَالَ: إِن شريحا كَانَ يُعجبهُ رَأْيه إِن عبد الله يَعْنِي ابْن مَسْعُود كَانَ أعلم من شُرَيْح وَكَانَ يقْرؤهَا عبد الله - بل عجبت - يَعْنِي بِضَم التَّاء - وَكَذَلِكَ قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ إِلَّا عَاصِمًا قَالُوا فالعجب من الله تَعَالَى إِمَّا على الْفَرْض والتخييل أَو هُوَ مَصْرُوف للمخاطب بِمَعْنى أَنه يجب أَن يتعجب مِنْهُ أَو هُوَ على معنى الاستعظام اللَّازِم لَهُ فَإِنَّهُ روعة تعتري الْإِنْسَان عِنْد استعظامه الشَّيْء، وَقيل: إِنَّه مُقَدّر بِالْقَوْلِ أَي قل يَا مُحَمَّد بل عجبت، وَحِينَئِذٍ فَمَعْنَى الْقِرَاءَتَيْن وَاحِد، وَقَالَ الْمَهْدَوِيّ يجوز أَن يكون إِخْبَار الله عَن نَفسه بالعجب مَحْمُولا على أَنه ظهر من أمره وَسخطه على من كفر بِهِ مَا يقوم مقَام الْعجب من المخلوقين كَمَا يخبر عَنهُ تَعَالَى بالضحك عَمَّن

= الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها).

درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: ١٠٢/٢.

رَضِي عَنهُ بِمَعْنى أَنه أظهر لَهُ من رِضَاهُ عَنهُ مَا يقوم مقَام الضحك من المخلوقين مجَازًا واتساعاً، وَقد يكون الْعجب بِمَعْنى وُقُوع ذَلِك الْعَمَل عِنْد الله عظيما، فَقَوله – بل عجبت – أَي بل عظم فعلهم عِنْدِي، قَالَ الْبَيْهَقِيّ وَيُشبه أَن يكون هَذَا معنى حَدِيث عقبَة بن عَامر قَالَ سَمِعت رَسُول الله – ﷺ – يَقُول: (عجب رَبك من شَاب لَيست لَهُ صبوة)(١)، قَالَ الْحسن ابن الْفضل: التَّعَجُّب من الله إِنْكَار الشَّيْء وتعظيمه، وَهُوَ لُغَة الْعَرَب وَقد جَاءَ فِي الْخَبَر عجب ربكُم، وَقَالَ الْهَرَوِيّ وَيُقَال: معنى عجب ربكُم أَي رَضِي وأثاب فَسَمَاهُ عجبا وَلَيْسَ بعجب فِي الْحَقِيقَة كَقَوْله: { وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ } [الأنفال: ٣٠] أَي يجازيهم على مَكْرهمْ، وَسُئِلَ الْجُنَيْد عَن قَوْله تَعَالَى: { وَإِن تعجب فَعجب قَوْلهم } [الرَّعْد: ٥] فَقَالَ: إِن الله لَا يعجب من شَيْء، وَقَالَ الإِمَام فَخر الدّين جَمِيع الْأَعْرَاض النفسانية أَعنِي الرَّحْمَة والفرح وَالسُّرُور وَالْغَضَب وَالْحيَاء وَالْمكْر والاستهزاء وَنَحْو ذَلِك لَهَا أَوَائِل وَلها غايات، مِثَاله: الْغَضَب فَإِن أَوله غليان دم الْقلب وغايته إِرَادَة إِيصَال الضَّرَر إِلَى المغضوب عَلَيْهِ فَلفظ الْغَضَب فِي حق الله لَا يحمل على أَوله الَّذِي هُوَ غليان دم الْقلب بل على غَايَته أَو غَرَضه الَّذِي هُوَ إِرَادَة الْإِضْرَار وَكَذَلِكَ الْحيَاء لَهُ أول وَهُوَ انكسار يحصل فِي النَّفس وَله غَرَض وَهُوَ ترك الْفِعْل فَلفظ الْحيَاء فِي حَقه تَعَالَى يحمل على ترك الْفِعْل لَا على انكسار النَّفس انْتهى، قلت: وعَلى هَذَا الضَّابِط فَكَذَلِك يُقَال فِي الرِّضَا وَالْكَرم والحلم وَالشُّكْر والمحبة وَنَحْو ذَلِك فَإِن الظَّاهِر أَن هَذِه كلهَا فِي حَقنا كيفيات

(١) رواه أحمد في المسند: ٢٨/٦٠٠ برقم (١٧٣٧١)، من حديث عقبة بن عامر – ﷺ –، وقال الأرناؤوط: (حسن لغيره)، وسيأتي.

نفسانية قيل وَالْحق أَن الكيفيات النفسانية تحْتَاج إِلَى تَعْرِيف لكَونهَا وجدانيات، وَفِي تَفْسِير الْقُرْطُبِيّ فِي قَوْله تَعَالَى: { وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } [الزمر: ٧] ويرضى بِمَعْنى يثيب ويثنى فالرضا على هَذَا إِمَّا ثَوَابه فَيكون صفة فعل كَقَوْله: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم: ٧] وَإِمَّا ثَنَاؤُهُ فَهُوَ صفة ذَات انْتهى) (١).

وقال ابن فورك الأصبهاني (ت ٤٠٦هـ): (إِذا قيل فِي صفة الله تَعَالَى عجب أَو يتعجب فَالْمُرَاد بِهِ أحد شَيْئَيْن: إِمَّا أَن يكون يُرَاد بِهِ أَنه مِمَّا عظم قدر ذَلِك وَكبر لِأَن المتعجب مُعظم لما يتعجب مِنْهُ وَلَكِن الله سُبْحَانَهُ لما كَانَ عَالما بِمَا كَانَ وَيكون لم يلق بِهِ أحد الْوَجْهَيْن الَّذِي يَقْتَضِي اسْتِدْرَاك عَالم مَا لم يكن بِهِ عَالما فَبَقيَ أَمر التَّعْظِيم لَهُ وَالتَّكْبِير فِي الْقُلُوب عِنْد أَهله إِذا يُرَاد بذلك الرِّضَا وَالْقَبُول لأجل أَن من أعجبه الشَّيْء فقد رضيه وَقَبله وَلَا يَصح أَن يعجب مِمَّا يسخطه ويكرهه فَلَمَّا أَرَادَ النَّبِي – ﷺ – تَعْظِيم أقدار هَذِه الْأَفْعَال فِي الْقُلُوب أخبر عَنْهَا باللَّفْظ الَّذِي يَقْتَضِي التَّعْظِيم حثًّا على فعلهَا وترغيبا فِي الْمُبَادرَة إِلَيْهَا، وَأما قَوْله تَعَالَى من قِرَاءَة من قَرَأَ: (بل عجبتُ) بِضَم التَّاء فتأويله على أحد وَجْهَيْن: إِمَّا أَن يُرَاد بِهِ أَنه جازاهم على عجبهم لما أخبر عَنْهُم أَنهم تعجبوا من الْحق لما جَاءَهُم: (إن هَذَا لشَيْء عُجاب)، وَهَذِه طَرِيقَة للْعَرَب مَعْرُوفَة فِي تَسْمِيَة جَزَاء الشَّيْء بِاسْمِه كَمَا قَالَ الْقَائِل:

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي ابن يوسف بن أبي بكر المقدسي الحنبلي: ١/٧٤ –٧٧، وانظر: غريب الحديث: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي: ٢/٧٠.

(أَلا لَا يجهلن أحد علينا ∴ فنجهل فَوق جهل الْجَاهِلين)[1]

وكما قَالَ تَعَالَى: { فاعتدوا عَلَيْهِ بمثل مَا اعْتدى عَلَيْكُم } [البقرة: من الآية ١٩٤]، وكما قَالَ: { وَجَزَاء سَيِّئَة سَيِّئَة مثلهَا } [الشورى: من الآية ٤٠]، فَسمى الثَّانِي باسمها، وَالْوَجْه الثَّانِي أَن يُرَاد بِهِ النَّبِي - ﷺ - وَطَرِيقَة ذَلِك على نَحْو مَا مضى بَيَانه قبل فِي أَنه يذكر وليه وخصيصة وَيكون الْخَبَر عَن نَفسه وَالْمرَاد بِهِ هُوَ كَمَا قيل مَرضت فَلم تعدني وَكَقَوْلِه تَعَالَى: { إِن الَّذين يُؤْذونَ الله وَرَسُوله } [الأحزاب: من الآية ٥٧]) [2].

ودافع أصحاب هذا الاتجاه هو قصد تنزيه الله - ﷻ - إذ رأوا أن التعجب على الحقيقة يستلزم الجهل بالسبب وخفاءه، وهذا من نسبة النقص إلى الله تعالى .

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه أهل الظاهر، وهم الذين أجروا النصوص على ظاهرها خاصة في مسألة الصفات الإلهية، وقد لخص العلامة مرعي الحنبلي قولهم فقال: (القَوْل الشَّامِل فِي جَمِيع هَذَا الْبَاب أَن يُوصف الله بِمَا وصف بِهِ نَفسه أَو وَصفه بِهِ رَسُوله وَبِمَا وَصفه بِهِ السَّابِقُونَ الْأَولونَ لَا نتجاوز الْقُرْآن والْحَدِيث، قَالَ الإِمَام أَحْمد رَحمَه الله لَا يُوصف الله إِلَّا بِمَا وصف بِهِ نَفسه أَو وَصفه بِهِ رَسُوله لَا نتجاوز الْقُرْآن والْحَدِيث، وَمذهب السّلف أَنهم يصفونَ الله بِمَا وصف بِهِ نَفسه وَبِمَا وَصفه بِهِ رَسُوله من غير تَحْرِيف وَلَا تَعْطِيل وَمن غير تكييف وَلَا تَمْثِيل، ونعلم أَن مَا وصف الله

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم، وهي منشورة ضمن المعلقات السبع مع شرح لها منسوب لأبي عمرو الشيباني: ٢٤٧/١.

(٢) مشكل الحديث وبيانه: محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، أبو بكر: ١٩١/١.

بِهِ نَفسه من ذَلِك فَهُوَ حق لَيْسَ فِيهِ لغز وَلَا أحاجي، بل مَعْنَاهُ يُعرف مـــن حَيْثُ يُعرف مَقْصُود الْمُتَكَلّم بِكَلَامِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِك لَيْسَ كمثله شَيْء لَا فِي نَفسه المقدسة الْمَذْكُورَة بأسمائها وصفاتها، وَلَا فِي أفعالها فَكَمَا تَيَقّن أَن الله سُبْحَانَهُ لَهُ ذَات حَقِيقَة وَله أَفعَال حَقِيقَة فَكَذَلِك لَهُ صِفَات حَقِيقَة وَهُوَ { لَيْسَ كمثله شَيْء } [الشورى: من الآية ١١]، لَا فِي ذَاته وَلَا فِي صِفَاته وَلَا فِي أَفعاله وكل مَا أوجب نقصا أَو حدوثا فَإِن الله تَعَالَى منزه عَنهُ فَإِنَّـــهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحقّ للكمال الَّذِي لَا غَايَة فَوْقه) [(١)].

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): (وإنما يعجب ويضحك من لا يعلم ثم يعلم فيعجب ويضحك، قال أبو محمد ونحن نقول إن العجب والضحك ليس على ما ظنوا وإنما هو على حل عنده كذا بمحل ما يعجب منه وبمحل ما يضحك منه لأن الضاحك إنما يضحك لأمر معجب له ولذلك قال رسول الله – ﷺ – للأنصاري الذي ضافه ضيف وليس في طعامه فضل عن كفايته فأمر امرأته بإطفاء السراج ليأكل الضيف وهو لا يشعر أن المضيف له لا يأكل: (لقد عجب الله تعالى من صنيعكما البارحة)[(٢)]، أي حل عنده محل ما يعجب الناس منه، وقال تعالى لنبيه – ﷺ –: { وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ... } [الرعد: ٥]، لم يُرِد أنه عندي عجب وإنما أراد أنه عجيب عند من سمعه)[(٣)].

---

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ...: مرعي بن يوسف الحنبلي: ٧٥/١.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأطعمة، بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ، برقم (٢٠٥٤) . بلفظ (الليلة) بدل البارحة .

(٣) تأويل مختلف الحديث: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: ٢١١/١.

(وذكر الشَّيْخ السهروردي (ت ٦٣٢هـ) فِي كتاب العقائد أخبر الله تَعَالَى أَنه اسْتَوَى على الْعَرْش وَأخْبر رَسُوله بالنزول وَغير ذَلِك مِمَّا جَاءَ فِي الْيَد والقدم والتعجب فَكل مَا ورد من هَذَا الْقَبِيل دَلَائِل التَّوْحِيد فَلَا يتَصَرَّف فِيهِ بتشبيه وَلَا تَعْطِيل فلولا إِخْبَار الله تَعَالَى وإخبار رَسُوله مَا تجاسر عقل أَن يحوم حول ذَلِك الْحمى وتلاشى دونه عقل الْعُقَلَاء ولب الألباء، قَالَ الطَّيِّبِيّ هَذَا الْمَذْهَب هُوَ الْمُعْتَمد عَلَيْهِ وَبِه يَقُول السّلف الصَّالح وَمن ذهب إِلَى التَّأْوِيل شَرط فِيهِ أَن يكون مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَعْظِيم الله تَعَالَى وجلاله وتنزيهه وكبريائه وَمَا لَا تَعْظِيم فِيهِ فَلَا يجوز الْخَوْض فِيهِ فَكيف بِمَا يُؤَدِّي إِلَى التجسيم والتشبيه انْتهى، وَهُوَ كَلَام فِي غَايَة التَّحْقِيق إِلَّا أَن ترك التَّأْوِيل مُطلقًا وتفويض الْعلم إِلَى الله أسلم) [(١)].

(قوله: "عَجِبَ رَبُّكُمْ" أي: عظم ذلك عنده. وقيل: عظم جزاء ذلك فسمي الجزاء عجبًا) كذا وقع في جميع النسخ الخطية صفة العجب مؤولة، والصواب على منهج أهل السنة والجماعة أن يوصف الله – جل وعلا – بالعجب كما وصف به نفسه، وليس وصف الله – جل وعلا – بالعجب من الفعل، أو مما يعمله العبد، ليس هذا ناتجا عن عدم العلم؛ بل هو من كماله جل وعلا، إذْ العجب تارة يكون عن عدم علم وتارة يكون عن علم، والعجب يقتضي رفع منزلة المُتعجّب منه، وهذا يثبت لله – جل وعلا – كما قال – جل وعلا –: { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ } [الصافات: ١٢]، أو كما جاء في الأحاديث التي فيها إثبات صفة العجب لله – ﷻ – مما صح إسناده وعُدِّلت

(١) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: ٧٥/١.

نقلته، نثبت ما جاء فيها على القاعدة المقررة من أنه إثبات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، والله أعلم)[1].

وقال الشيخ الشنقيطي (ت ١٤٠٥هـ): (إسناد العجب إلى الله: قد تأوله بعضهم زاعمًا أن العجب مستحيل على الله، وليس بصواب فإن صفات الله – ﷻ – لا تشبه صفات المخلوقين، بل يجب الإيمان بها وردّ علمها إلى الله، ولا يلزم من ذلك تشبيه ولا محظور لأن سبيل الصفات سبيل الذات، فكما أن الإنسان يؤمن بذات الله ولا تشبهها الذوات؛ فكذلك صفاته لا تشبهها الصفات { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } فالحق إثبات ما أثبته الله ورسوله، ونفي ما نفاه الله ورسوله، واعتقاد تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث لا في ذاته ولا في صفاته، وهذه طريقة سلف الأمة الصالح: الإيمان بالنصوص ورد علمها إلى الله تعالى) [2].

وبين أصحاب الاتجاهين سجالات في إثبات كل منهما – وتأيده – لدعواه، ودحض وتفنيد أدلة الآخر وتضليله .

وما أجمل ما قال الفضيل بن عياض (ت ٥٤٤هـ) في هذا: (قَالَ لَيْسَ لنا أَن نتوهم في الله كَيفَ هُوَ لِأَن الله – ﷻ – وصف نَفسه فأبلغ فَقَالَ: { قل هُوَ الله أحد ... } السُّورَة، فَلَا صفة أبلغ ممَّا وصف بِهِ نَفسه فَهَذَا النُّزُول والضحك وَهَذِه المباهاة وَهَذَا الإطلاع كَمَا شَاءَ الله أَن ينزل وكما شَاءَ أَن يباهي وكما شَاءَ أَن يضْحك وكما شَاءَ أَن يطلع فَلَيْسَ لنا أَن نتوهم

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار: إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن قرقول: ١٠٦/١.
(٢) شرح سنن النسائي المسمى «شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية»: محمد المختار بن محمد بن أحمد الشنقيطي: ٣٢٣/٢.

كَيفَ وكَيف فَإذا قَالَ الجهمي أَنا أكفر بِرَبّ يَزُول عَن مَكَانَهُ فَقل أَنا أُؤْمن بِرَبّ يفعل مَا يَشَاء انتهى) [1].

ومما تجدر الإشارة إليه في معنى العجب عند أصحاب الاتجاه الثاني أنهم كما أثبتوه على الحقيقة فقد فسروه بلازمه، أي ما يترتب عليه وهو الرضا والاستعظام والثواب و... وهذا قد يشبه التأويل .

وقد أزال أبو سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) هذا الإشكال في رده على بشر المريسي: (وأما قولك: إن ضحكه: رضاه ورحمته، فقد صدقت في بعض؛ لأنه لا يضحك إلى أحد إلا عن رضا، فيجتمع منه الضحك والرضا، ولا يصرفه [يعني: الضحك] إلا عن عدو، وأنت تنفي الضحك عن الله، وتثبت له الرضا وحده) [2].

فتبين الفرق بين من يتأول الصفة ومن يفسرها بلازمها، فالمتأول ينفي حقيقة الصفة أصلًا ولا يثبتها، ومن يفسرها بلازمها يثبت حقيقة الصفة ويفسرها بلازم من لوازمها أو أثر من آثارها، ولا يخرج بهذا عن إثبات الصفة على ظاهرها.

ويقول ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): (من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسَّر من الأسماء أو بعض أنواعه؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى – بل قد يكونان متلازمين –، ولا دخولٍ لبقية الأنواع فيه)[3].

---

(١) سنن أبي بكر الأثرم: أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ الأَثْرَم الطَّائِيُّ، ص ٧٦.

(٢) النقض على المريسي، ص ٣٠١.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٩٠/٦، ودقائق التفسير له: ٤٧٩/٢-٤٨٠.

ويقول أيضًا: (وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قدر حيَّان: أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط، كان الأول أكمل من الثاني؛ ولهذا قال النبي - ﷺ -: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، فقال له أبو رَزِينٍ العُقَيْلي: يا رسول الله، أوَ يضحك الرب؟! قال: «نعم»، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا)[1]، فجعل الأعرابي العاقل - بصحة فطرته - ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال)[2].

ويقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ): (عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظة بعض معانيها، ولازمًا من لوازمها، أو الغاية المقصودة منها، أو مثالًا ينبه السامع على نظيره، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله)[3].

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): (ما ذكره أبو سليمان الخطابي فى رسالته المشهورة فى الغنية عن الكلام وأهله قال فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها فى الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٠٦/٢٦ برقم (١٦١٨٧)، وقال الأرناؤوط: (إسناده ضعيف)، ورواه ابن ماجه في السنن: المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، ص ١٨٢ برقم (١٨١) من حديث أبي رزين - ﷺ -، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه .

(٢) مجموع الفتاوى: ١٢١/٦، والغنية رسالة مختصرة جدا وليس فيها هذا الكلام بنصه .

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للبعلي، ص ٤٢٧.

وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ودين الله تعالى بين الغالى فيه والجافى والمقصر عنه والأصل فى هذا أن الكلام فـــى الصـــفات فرع على الكلام فى الذات ويحتذى فى ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما أن اثبات البارى سبحانه انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفيـــة فكـــذلك اثبـــات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فإذا قلنـــا يـــد وســـمع وبصر وما أشبهها فانما هى صفات اثبتها الله لنفسه ولسنا نقول أن معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جـــوارح ولا نشبهها بالأيدى والأسماع والأبصار التى هى جـــوارح وأدوات للفعـــل ونقول أن القول انما وجب باثبات الصفات لأن التوقيف ورد بها ووجب نفى التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شىء وعلى هذا جرى قول الســـلف فـــى أحاديث الصفات هذا كله كلام الخطابى)[1].

وعلى ما سبق من تفسير العجب في حق الله – ﷻ – فإننا ســـنتناول الأحاديث النبوية التي ورد فيها لفظ العجب مضافًا إلى الذات الإلهية لبيـــان أن هذه الأعمال عظمت عند الله تعالى، وليس تعجبه لظهور سبب خفي، ولا أن تعجبه يشبه التعجب عند خلقه .

(١) مجموع الفتاوى: ٥/٥٨.

المبحث الثاني

خطر الجهل بصفات الله - تعالى

إن تعدُّد أسماء الباري – تعالى – وصفاته يدلُّ على معنى عظيم في حقه – جل وعلا – ولها في الخلق أثرٌ عظيم، فالعلم بصفات الله – ﷻ – يورث العبد سلوكا وأخلاقاً راقية تسمو به نحو الكمال، ولذلك كان النبي – ﷺ – يحث على العلم بها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " (١).

قال البغوي (ت ٥١٦هـ): («مَنْ أَحْصَاهَا»، قِيلَ: أَرَادَ عَدَّهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: عَرَفَهَا، وَعَقَلَ مَعَانِيهَا، وَآمَنَ بِهَا، وَقِيلَ: مَنْ أَحْصَاهَا، أَيْ: أَطَاقَهَا، كَقَوْلِهِ – ﷻ –: { عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ } [المزمل: ٢٠] أَيْ: تُطِيقُوهُ، يَقُولُ: مَنْ أَطَاقَ الْقِيَامَ بِحَقِّ هَذِهِ الأَسَامِي، وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا، كَأَنَّهُ إِذَا قَالَ: الرَّزَّاقُ، وَثِقَ بِالرِّزْقِ، وَإِذَا قَالَ: الضَّارُّ النَّافِعُ، عَلِمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنْهُ، وَعَلَى هَذَا سَائِرُ الأَسْمَاءِ)(٢).

وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): (قَالَ الْخَطَّابِيُّ الْإِحْصَاءُ فِي مِثْلِ هَذَا يَحْتَمِلُ وُجُوهًا أَحَدُهَا أَنْ يَعُدَّهَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَهَا، يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى بَعْضِهَا لَكِنْ يَدْعُو اللَّهَ بِهَا كُلِّهَا وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِجَمِيعِهَا ... ثَانِيهَا الْمُرَاد بِالْإِحْصَاء الْإِطَاقَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (علم أن لن تحصوه) وَمِنْهُ حَدِيثُ: (اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا)(٣)

---

(١) رواه أحمد في المسند، برقم (٧٦٢٣)، من حديث أبي هريرة، وقال الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٢) شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي: ٣١/٥.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد في المسند: ٦٠/٣٦، برقم (٢٢٣٧٨)، وقال الأرناؤوط: (حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح).

أَيْ: لَنْ تَبْلُغُوا كُنْهَ الاسْتِقَامَةِ وَالْمَعْنَى مَنْ أَطَاقَ الْقِيَامَ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا وَهُوَ أَنْ يَعْتَبِرَ مَعَانِيَهَا فَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِوَاجِبِهَا فَإِذَا قَالَ الرَّزَّاقُ وَثِقَ بِالرِّزْقِ وَكَذَا سَائِرُ الْأَسْمَاءِ ثَالِثُهَا الْمُرَادُ بِالْإِحْصَاءِ الْإِحَاطَةُ بِمَعَانِيهَا ... وَقِيلَ مَعْنَى أَحْصَاهَا عَمِلَ بِهَا فَإِذَا قَالَ الْحَكِيمُ مَثَلًا سَلَّمَ جَمِيعَ أَوَامِرِهِ لِأَنَّ جَمِيعَهَا عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَإِذَا قَالَ الْقُدُّوسُ اسْتَحْضَرَ كَوْنَهُ مُنَزَّهًا عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي الوفا بن عقيل وَقَالَ ابن بَطَّالٍ طَرِيقُ الْعَمَلِ بِهَا أَنَّ الَّذِي يُسَوَّغُ الاقْتِدَاءَ بِهِ فِيهَا كَالرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى حِلَاهَا عَلَى عَبْدِهِ فَلْيُمَرِّنِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَصِحَّ لَهُ الاتِّصَافُ بِهَا وَمَا كَانَ يَخْتَصُّ بِاللَّهِ تَعَالَى كَالْجَبَّارِ وَالْعَظِيمِ فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْإِقْرَارُ بِهَا وَالْخُضُوعُ لَهَا وَعَدَمُ التَّحَلِّي بِصِفَةٍ مِنْهَا وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الْوَعْدِ نَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الطَّمَعِ وَالرَّغْبَةِ وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الْوَعِيدِ نَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الْخَشْيَةِ وَالرَّهْبَةِ فَهَذَا مَعْنَى أَحْصَاهَا وَحَفِظَهَا ... وَقَالَ ابن عَطِيَّةَ مَعْنَى أَحْصَاهَا عَدَّهَا وَحَفِظَهَا وَيَتَضَمَّنُ ذَلِكَ الْإِيمَانَ بِهَا وَالتَّعْظِيمَ لَهَا وَالرَّغْبَةَ فِيهَا وَالاعْتِبَارَ بِمَعَانِيهَا ... وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ الْإِحْصَاءُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَ هُوَ التَّعْدَادَ وَإِنَّمَا هُوَ الْعَمَلُ وَالتَّعَقُّلُ بِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَالْإِيمَانُ بِهَا وَقَالَ أَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ مِنْ تَمَامِ الْمَعْرِفَةِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الدَّاعِي وَالْحَافِظُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمَعْرِفَةُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَا تَتَضَمَّنُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقَائِقِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا لِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَلَا مُسْتَفِيدًا بِذِكْرِهَا مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي ... وَلِلْإِحْصَاءِ مَعَانٍ أُخْرَى مِنْهَا الْإِحْصَاءُ الْفِقْهِيُّ وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَعَانِيهَا مِنَ اللُّغَةِ وَتَنْزِيلُهَا عَلَى الْوُجُوهِ الَّتِي تَحْمِلُهَا الشَّرِيعَةُ وَمِنْهَا الْإِحْصَاءُ النَّظَرِيُّ وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ مَعْنَى كُلِّ اسْمٍ بِالنَّظَرِ فِي الصِّيغَةِ وَيُسْتَدَلُّ

عَلَيْهِ بِأَثَرِهِ السارِي فِي الْوُجُودِ فَلَا تَمُرُّ عَلَى مَوْجُودٍ إِلَّا وَيَظْهَرُ لَكَ فِيهِ مَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَتَعْرِفُ خَوَاصَّ بَعْضِهَا وَمَوْقِعَ الْقَيْدِ وَمُقْتَضَى كُلِّ اسْمٍ قَالَ وَهَذَا أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْإِحْصَاءِ قَالَ وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَمَلِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ بِمَا يَقْتَضِيهِ كُلُّ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ فَيَعْبُدُ اللَّهَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وَجَبَتْ لِذَاتِهِ قَالَ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ جَمِيعُ مَرَاتِبِ الْإِحْصَاءِ حَصَلَ عَلَى الْغَايَةِ وَمَنْ مُنِحَ مَنْحًى مِنْ مَنَاحِيهَا فَثَوَابُهُ بِقَدْرِ مَا نَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[1].

بل يُخشى أن يكون عدم التأثُّر بأسماء الله وصفاته إيمانيًّا وتربويًّا – تعطيلاً لها مما دلَّتْ عليه، من معانٍ وآثار في النفوس والخَلْق والكون، إذ لا تتم عبوديةُ العبد لربه، ولا يبلغ درجةَ الكمال؛ إلاَّ بفهم معاني أسمائه وصفاته؛ ليثمر له ذلك مقام العبودية الله – ﷻ –، قال العز بن عبدالسلام (ت ٦٧٨هـ): (فهم معاني أسماء الله – تعالى – وسيلة إلى معاملته بثمراتها، من الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل)[2].

(والجهَّال بالله وأسمائه وصفاته، يقاربون المعطِّلين لحقائقها – فهم يُبغِّضون اللهَ إلى خلقه، ويقطعون عليهم طريق محبته، والتودُّد إليه بطاعته، من حيث لا يعلمون، ولأنهم جهلوا أسماءَ الله – تعالى – وصفاتِه، فحُرموا من تلك الآثار والثمرات بقدر ما جهلوا منها، وقد أثَّر هذا الجهل على نفوسهم، وفي حياتهم السلوكية والتربوية أثرًا سلبيًّا كبيرًا، وأفرزت بعض المفاهيم والأفكار والأحكام المنحرفة، وتوالدتْ منها مناهج سلوكية

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ٢٢١/١١.
(٢) شجرة المعارف والأحوال في صالح الأقوال والأعمال: العز بن عبدالسلام، ص ١.

منحرفة، أثَّرتْ على المجتمع المسلم إلى اليوم، فالخوارج – مثلا – لما غفلوا عن أسماء الله – تعالى – وصفاته المتعلِّقة بالعفو والرحمة والمغفرة، كان الجهل بمعانيها سببًا في السلوك السلبي في حياتهم، وعدم الاعتدال في مذهبهم، فهم قائمون على غلو في المعتقد والفكر، وتشدُّد وتعنت في السلوك، فأرهبوا العُصاة وهدَّدوهم بأسماء الله – تعالى – وصفاته القهرية، وساقوا الناس بالزجر والوعيد، وأزعجوهم بآيات العذاب، وأغلقوا أمامهم أبوابَ الجنة لمطلق الذنب والمعصية، فظَنوا في الله – تعالى – ظن السَّوء، وجعلوه جبارًا، شديد البطش، لا يغفر ولا يرحم – تعالى الله عن ذلك كلِّه علوًّا كبيرًا –، فهم لم يكن لهم حظٌّ من معاني أسماء الله – تعالى – وصفاته المتعلِّقة بالرجاء والرحمة، والعفو والمغفرة، ولم يلِجوا هذا الباب، أو يقفوا في هذا المقام، فبقدر جهلهم وغفلتهم عن أسماء الله – تعالى – وصفاته الأخرى، حُرموا بعض آثارها في نفوسهم، وعلى سلوكهم)[1].

وبعد الخوارج ظهر فريق آخر ممن ظهر في تفكيره آثار الجهل بصفات الله – تعالى – وقابلوهم بسوء المعتقد من الطرف الآخر، فأفرطوا في حسن الظن برحمة الله – تعالى – وعفوه ومغفرته، وغفلوا عما يقابلها من صفاتٍ قهريةٍ، فأفرطوا في هذا الباب، وحملوا العصاة – بل والفجرة والكفرة – على السلامة والإسلام؛ فثبطوا الناسَ عن العمل والطاعة بآيات الوَعْد، وألبسوهم ثياب الإيمان لمجرد النطق بالشهادة، أو الإقرار بها في

(١) انظر: آثار الجهل بأسماء الله – تعالى – وصفاته، آدم عبده يحيى: مقال بالشبكة العنكبوتية، موقع الآلوكة، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/١٢م.

القلب، فكان لهم نصيب من الانحراف في النفس والسلوك، على قدر جهلهم بأسماء الله – تعالى – وصفاته القهرية، وكان لهذا المنهج أثره الواضح في نفوسهم، وعلى سلوكهم وتراثهم الفكري(١).

والمتتبع لآثار الجهل بصفات الله – تعالى – عند الفِرَق وعند المجترِّين لأفكارهم سوف يجد لها الكثير من الأشباه والنظائر في الواقع الذي نعيشه .

يقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ) – رحمه الله – واصفًا حال أهل الجهل بصفات الله تعالى بمفهوم كلامه لا منطوقه: (وَأَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، فَلَا تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ، كَمَنْ يَحْجُبُهُ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ الْقَدِيرِ عَنِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِهِ الْحَلِيمِ الرَّحِيمِ، أَوْ يَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ الْمُعْطِي عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمِهِ الْمَانِعِ، أَوْ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ الرَّحِيمِ وَالْعَفُوِّ وَالْغَفُورِ عَنِ اسْمِهِ الْمُنْتَقِمِ، أَوِ التَّعَبُّدُ بِأَسْمَاءِ التَّوَدُّدِ، وَالْبِرِّ، وَاللُّطْفِ، وَالْإِحْسَانِ عَنْ أَسْمَاءِ الْعَدْلِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْكُمَّلِ مِنَ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ)(٢).

فتعجب من شخص يجهل – أو يعلم ويعطل – أن من صفات الله أنه يحب عبده المؤمن، ويكتب له وداً، فلا يُلقِي لذلك بالاً، وذلك لأنه استبعد إمكانية أن يُحِب اللهُ عبدَه على الحقيقة، لذلك قيل: (ليس الشأن أن تحب

(١) انظر: آثار الجهل بأسماء الله – تعالى – وصفاته، آدم عبده يحيى .
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: ١/٤٢٠.

الله، ولكن الشأن أن يحبك الله) [1].

وتعجبُ منْ آخرَ يَجهلُ – أو يعلمُ ويعطل – أيضاً – عن الله أنه أظهرَ إعجابه بعملِ بعضِ طاعاتٍ مخصوصةٍ يتقربُ إليه بها عبادهُ، فلا يأبه لهذا، لأنه استعاض عن ذلك بالحرص على عمل ما يُعجِب المخلوقين، فوقع في الشرك تارة، وفي الرياء تارة، وفي الغفلة أخرى.

(١) الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها: عبد المحسن بن حمد العباد: ص ٣٣.

المبحث الثالث

عجب الله من راعي غنم يؤذن ويصلي

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: " يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي شَظِيَّةٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُقِيمُ " (١).

وقال أبو بكر بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) حدثنا ابْنُ كَاسِبٍ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ الْمَعَافِرِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ ابْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي الْغَنَمِ فِي رَأْسِ الشَّظِيَّةِ مِنَ الْجَبَلِ، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ»(٢).

وقال أبوداود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ أَبَا عُشَّانَةَ الْمَعَافِرِيَّ، حَدَّثَهُ، عَنْ عُقْبَةَ ابْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: " يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ - ﷻ -: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل: في المسند: ٥٤٨/٢٨، برقم (١٧٣١٢)، وقال الأرناؤوط: (حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، رواية قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة صالحة، وابن لهيعة قد تابعه عمرو بن الحارث).

(٢) السنة: أبو بكر بن أبي عاصم، برقم (٥٧٢)، وقال الألباني: (إسناده جيد رجاله كلهم ثقات وفي ابن كاسب ... كلام لا يضر ... لا سيما وقد توبع ... والحديث أخرجه جماعة من طرق عن ابن وهب به. وقد خرجته في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" ٤١.

وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ "[1].

قال النووي (ت ٦٧٦هـ) – رحمه الله –: (التعجب على الله محال إذ لا يخفى عليه أسباب الأشياء، والتعجب إنما يكون مما خفي سببه، فالمعنى عظم ذلك عنده وكبر، وقيل: معناه الرضا، والخطاب إما للراوي، أو لواحد من الصحابة غيره . وقيل: الخطاب عام لكل من يتأتى منه السماع لفخامة الأمر، فيؤكد مع التعجب (من راعي غنم) اختار العزلة من الناس، فإن الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس (في رأس شظية للجبل) – بفتح الشين المعجمة وكسر الظاء المعجمة وتشديد التحتانية – أي: قطعة من رأس الجبل، وقيل: هي الصخرة العظيمة الخارجة من الجبل كأنها أنف الجبل، (يؤذن بالصلاة ويصلي): قال ابن الملك: فائدة تأذينه إعلام الملائكة والجن بدخول الوقت، فإن لهم صلاة أيضا، وإنما لم يذكر الإقامة لأنها للإعلام بقيام الصلاة، وليس أحد يصلي خلفه حتى يقيم لإعلامه، وهو خلاف المذهب ؛ لأن الأفضل أن يجمع بينهما، فالأولى أن يراد بالتأذين الإعلام بالمعنى الأعم، أو يقدر الإقامة لما سيأتي من قوله: ويقيم،. وفي تأذينه فوائد أخر من شهادة الأشياء على توحيده ومتابعة سنته، والتشبه بالمسلمين في جماعتهم، وقيل: إذا أذن وأقام تصلي الملائكة معه، ويحصل

(١) رواه أبو داود سليمان بن الأشعث: السنن، كتاب: الصلاة، بَابُ: الْأَذَانِ فِي السَّفَرِ، برقم (١٢٠٣) [وصححه الألباني]: صحيح سنن أبي داود، والنسائي في سننه: كتاب: الأذان، باب: الأذان لمن يصلي وحده، برقم (٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي أيضاً.

له ثواب الجماعة والله أعلم. (" فيقول الله – ﷻ –) أي: للملائكة وأرواح المقربين عنده (انظروا إلى عبدي هذا) تعجيب لملائكته من ذلك الأمر بعد التعجب لمزيد التفخيم، وكذا تسميته بالعبد وإضافته إلى نفسه، والإشارة بهذا تعظيم على تعظيم (يؤذن ويقيم الصلاة) نصب بنزع الخافض، أي: للصلاة تنازع فيه الفعلان. وقال ابن الملك: " أي يحافظ ويداوم عليها " (يخاف مني) أي: يفعل ذلك خوفا من عذابي، لا يراه أحد، قاله ابن الملك. وقال الطيبي: الأظهر أنه جملة استئنافية، وإن احتمل الحال فهو كالبيان لعلة عبوديته واعتزاله التام عن الناس، وأما قول ابن حجر: " ولذا آثر الشظية بالرعي فيها، والمعز برعايتها؛ لأن الأعين لا تتشوف إليها تشوفها للضأن " فلا دلالة للحديث عليه؛ لأن الغنم أعم منهما، وفي الحديث دليل على جواز الأذان والإقامة للمنفرد ... لكن الأولى أن يقال: دليل على استحبابهما " (قد غفرت لعبدي) فإن الحسنات يذهبن السيئات (وأدخلته الجنة) فإنها دار المثوبات[1].

وقال صاحب عون المعبود: (وفائدة تأذينه إعلام الملائكة والجن بدخول الوقت فإن لهم صلاة أيضا، وشهادة الأشياء على توحيده ومتابعة سنته، والتشبه بالمسلمين في جماعتهم. وقيل: إذا أذن وأقام تصلي الملائكة معه ويحصل له ثواب الجماعة والله أعلم (فيقول الله – ﷻ –): أي لملائكته وأرواح المقربين عنده، (انظروا إلى عبدي هذا): تعجيب للملائكة من ذلك الأمر بعد التعجب لمزيد التفخيم وكذا تسميته بالعبد وإضافته إلى نفسه والإشارة بهذا

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي بن (سلطان) محمد، القاري: ٥٦٥/٢.

تعظيم على تعظيم (يخاف مني): أي يفعل ذلك خوفا من عذابي لا ليراه أحد. وفي الحديث دليل على استحباب الأذان والإقامة للمنفرد (قد غفرت لعبدي): فإن الحسنات يذهبن السيئات (وأدخلته الجنة): فإنها دار المثوبات)[1].

(هذا مثال من أمثلة الخوف من الله – ﷻ –، يكون سببا لنجاة صاحبه من النار ودخوله الجنة، فصاحبه في مكان منعزل قاصٍ عن الناس، لا يراه أحد منهم فيخاف أمره ونهيه ولومه، يعلم أنه لا يراه أحد إلا الله، فيقوم لأداء حق الله عليه، إعظاما لهذا الحق، وإخلاصًا لله، وإلا فما الدافع له وهو في هذه الحال؟! فيقوم.. يكبر الله ويشهد له بالوحدانية، ولنبيه محمد – ﷺ – بالرسالة، وينادي من يسمعه من سكان المكان وعامريه إلى الصلاة والفلاح، ثم يثني فيكبر الله ويهلل لله، ثم يجيب نفسه بنفسه إلى الصلاة فيؤديها، فهو موقف يرضي الله سبحانه، ويعظم صاحبه عليه، إنه موقف مراقبة لله وإخلاص له، لا يحمل صاحبه عليه إلا شهوده حق الله عليه وخوفه المقام بين يديه، وإن الله – ﷻ – أكرم من أن يجمع على عبده خوفين: خوفه الله في الدنيا وخوفه عذابه في الآخرة، بل إن خافه العبد في الدنيا أمنه في الآخرة، وإن أمنه في الدنيا أخافه في الآخرة. قال الله تعالى على لسان الأبرار { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا } [الإنسان: ١٠، ١١]، فمن خاف الله في الدنيا حفظه الله في الآخرة من مكارهها، وأناله نعيمها وسرورها، وثمة دقيقة في الحديث، يقول الله فيه: (قد غفرت لعبدي ..)

(١) عون المعبود: ٤/٥٣.

وهذا تنبيه إلى أن العبد الذي لم يذكر الله من شأنه إلا هذا الخير، فإنه لا يخلو من هفوات ومؤاخذات، لكن الله الرحمن الرحيم يغفرها له ولا يؤاخذه عليها ويدخله الجنة) (١).

ومن لطائف رواية أبي داود والنسائي التأكيد على مباهاة الله بعمل هذا العبد، وهذا واضح في قوله – ﷺ –: (فَيَقُولُ اللَّهُ – ﷻ –: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي)، وهذا جزاء العبد في إخلاصه وتخفِّيه بعمله في الدنيا يُظهره الله تعالى في الملأ الأعلى، مصداق قوله: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)(٢).

وليس المقصود راعي الغنم بذاته بل كل من صلي وحافظ على الصلاة فإنه بذلك يرضى الرب – سبحانه – وإنما خص راعي الغنم بالذكر لأنه برغم شغله بقطيعه ومتابعتهم إلا أنه يترك هذا كله عندما تحضر الصلاة يؤذن ويصلي، وكذلك كل من يترك ما يشغله عند حضور الصلاة فإن الله يعجب من صنعه.

ويقول سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) – رحمه الله –: «مَنْ حَافَظَ عَلَى

---

(١) شرح الحديث القدسي يعجب ربكم من راعى غنم في راس شظية: أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطى، موقع (فذكر) بالشبكة العنكبوتية، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠١٩/٧/٢٨م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: التوحيد، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران: ٢٨]، برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب: الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ: الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، برقم (٢٦٧٥).

الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلَأَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً»[1].

(ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء، وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشةً لهم، وقد جاء في تفسير قوله : { لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ } [النور: من الآية ٣٧] أنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة)[2].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ١٦/٢، إسناده حسن، رجاله كلهم موثقون، وفي عطاف وابن حرملة كلام لا ينزل حديثهما عن مرتبة الحسن سوى ما استنكر عليهما، قال ابن السبكي ٢٩٤/٦: (لم أجد له إسناداً) .

(٢) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: ٨٥/٢.

المبحث الرابع

عجب الله - تعالى - من عبده يقوم فيصلي بالليل

قال الإمام أحمد حدَّثَنَا رَوْحٌ، وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ عَفَّانُ: أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِب، عَنِ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: " عَجِبَ رَبُّنَا - ﷻ - مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَيِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ -ﷻ-، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللهُ - ﷻ - لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ " (١).

اشتمل هذا الحديث على نوعين من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله - ﷻ - وهما:

١- قيام العبد ليصلي بالليل.

٢- والقتال عند انهزام القوم حتى يُقتل، (وسيأتي في المبحث التالي).

وقيام الليل من أجلِّ القربات التي ترضي الرب - سبحانه - والكلام في

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٦١/٧، برقم (٣٩٤٩)، من حديث عبدالله بن مسعود - ﷺ -، وقال الأرناؤوط: (إسناده حسن إلا أن الدارقطني صحح وقفه كما يأتي، حماد بن سلمة صححوا سماعه من عطاء قبل الاختلاط، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين ...، وأخرجه ابن أبي شيبة: ٣١٣/٥، وابن أبي عاصم في "السنة" (٥٦٩)، وأبو يعلى (٥٣٦١)، من طريق عفان بن مسلم، بهذا الإسناد).

فضائله كثير جداً، لكن في هذا الحديث من بديع تصويره وبلاغته – ﷺ – ما يجعل المداوم على قيام الليل يشعر لعمله بقيمة تحفزه على الاستمرار، وتغري أهل النوم أن ينفضوا عن أنفسهم غطاء الكسل والغفل .

(عَجِبَ رَبُّنَا)، أَيْ: رَضِيَ وَاسْتَحْسَنَ (مِنْ رَجُلَيْنِ)، أَيْ: فِعْلُهُمَا، وَقَالَ الطِّيبِيُّ، أَيْ: عَظُمَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنْهُمَا، قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: فَسَمَّاهُ عَجَبًا مَجَازًا؛ لِأَنَّ التَّعَجُّبَ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّا خَفِيَ سَبَبُهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. (رَجُلٍ): بِالْجَرِّ بَدَلٌ، وَجُوِّزَ الرَّفْعُ، فَالتَّقْدِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ مِنْهُمَا أَوْ هُمَا رَجُلٌ (ثَارَ)، أَيْ: قَامَ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ وَرَغْبَةٍ (عَنْ وِطَائِهِ): بِكَسْرِ الْوَاوِ، أَيْ: فِرَاشِهِ اللَّيِّنِ (وَلِحَافِهِ): بِكَسْرِ اللَّامِ، أَيْ: ثَوْبِهِ الَّذِي فَوْقَهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «لَيَذْكُرَنَّ اللَّهَ أَقْوَامٌ عَلَى الْفُرُشِ الْمُمَهَّدَةِ يُدْخِلُهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. (مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ): بِكَسْرِ الْحَاءِ، أَيْ: مَحْبُوبِهِ (وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ)، أَيْ: مَائِلًا عَنِ الَّذِينَ هُمْ زُبْدَةُ الْخَلَائِقِ عِنْدَهُ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ، عِلْمًا بِأَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُ لَا فِي قَبْرِهِ وَلَا يَوْمَ حَشْرِهِ، وَإِنَّمَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُهُ فِي أَيَّامِ عُمُرِهِ، وَلِذَا قَالَ الْجُنَيْدُ لَمَّا رُؤِيَ فِي النَّوْمِ، وَسُئِلَ عَنْ مَرَاتِبِ الْقَوْمِ: طَاشَتِ الْعِبَارَاتُ، وَتَلَاشَتِ الْإِشَارَاتُ، وَمَا نَفَعَنَا إِلَّا رُكَيْعَاتٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنَ الْأَوْقَاتِ. (فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ)، أَيْ: مُبَاهَاةً لِعَبْدِهِ الَّذِي غَلَبَتْ صِفَاتُ مَلَكِيَّتِهِ عَلَى أَحْوَالِ بَشَرِيَّتِهِ، مَعَ وُجُودِ الشَّيْطَانِ وَالْوَسَاوِسِ وَالنَّفْسِ وَطَلَبِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَاجِسِ، (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي)، أَيْ: نَظَرَ الرَّحْمَةِ الْمُتَرَتِّبَ عَلَيْهِ الِاسْتِغْفَارُ لَهُ وَالشَّفَاعَةُ. وَالْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، وَأَيُّ تَشْرِيفٍ، أَوْ فَكَّرُوا فِي قِيَامِهِ مِنْ مَقَامِ الرَّاحَةِ، (ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ)، أَيْ: تَبَاعَدَ عَنْهُمَا (مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ)، أَيْ: مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ وَمِنِ اتِّفَاقِهِمْ، وَمُعْتَزِلًا عَنِ اقْتِرَابِهِمْ وَاعْتِنَاقِهِمْ،

(إِلَى صَلَاتِهِ)، أَيِ: الَّتِي تَنْفَعُهُ فِي حَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ (رَغْبَةً)، أَيْ: لَا رِيَاءً وَسُمْعَةً بَلْ مَيْلًا (فِيمَا عِنْدِي)، أَيْ: مِنَ الْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ، أَوْ مِنَ الرِّضَا وَاللِّقَاءِ يَوْمَ الْمَآبِ. (وَشَفَقًا)، أَيْ: خَوْفًا (مِمَّا عِنْدِي): مِنَ الْجَحِيمِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، أَوْ مِنَ السُّخْطِ وَالْحِجَابِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْعِقَابِ، وَهَذَا غَايَةُ الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، فَإِنَّهُ قَامَ بِالْعِبَادَةِ فِي وَقْتِ رَاحَةِ النَّاسِ فِي الْعَادَةِ مَعَ عَدَمِ التَّكْلِيفِ الْإِلَهِيِّ، فَيَكُونُ مِنْ عَلَامَةِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، ... (فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ)، أَيِ: الْمُقَرَّبِينَ (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي)، أَيْ: نَظَرَ تَعَجُّبٍ (رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقًا مِمَّا عِنْدِي)، أَيْ: مِنَ الْعِقَابِ (حَتَّى هُرِيقَ دَمُهُ)، أَيْ: عَلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ ... وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ لِلَّهِ مَعَ رَجَاءِ الثَّوَابِ الَّذِي رَتَّبَهُ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ، وَطَلَبُ حُصُولِهِ لَا يُنَافِي الْإِخْلَاصَ وَالْكَمَالَ، وَإِنْ نَافَى الْأَكْمَلَ، وَهُوَ الْعَمَلُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا لِغَرَضٍ وَلَا لِعِوَضٍ، وَأَمَّا قَوْلُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ عَنِ الْمُتَكَلِّمِينَ: إِنَّ مَنْ عَبَدَ لِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْ لِخَوْفِ الْعِقَابِ لَمْ تَصِحَّ عِبَادَتُهُ، فَيَتَعَيَّنُ تَأْوِيلُهُ بِأَنَّهُ مَحْضُ عَمَلِهِ لِذَلِكَ، بِحَيْثُ لَوْ خَلَا عَنْ ذَلِكَ لَانْتَفَتْ عِبَادَتُهُ، وَحِينَئِذٍ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا تَصِحُّ عِبَادَتُهُ، بَلْ قِيلَ: إِنَّهُ يَكْفُرُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لِذَاتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

قَالَ الطِّيبِيُّ: وَلِأَنَّ قِيَامَهُ مِنْ فِرَاشِهَا مَعَ مَيْلِ النَّفْسِ إِلَيْهَا مُتَوَجِّهًا إِلَى التَّهَجُّدِ أَصْعَبُ وَأَشَقُّ: وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ: " «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ، رَجُلٌ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي بن (سلطان) محمد، الهروي: ٩٢٧/٢.

عِنْدِي وَشَفَقًا فِيمَا عِنْدِي» " الْحَدِيثَ [1].

قال ابن حبان: (ذِكْرُ تَعْجِيبِ اللَّهِ - جل وعلا - مَلَائِكَتَهُ مِنَ الثَّائِرِ عَنْ فِرَاشِهِ وَأَهْلِهِ يُرِيدُ مُفَاجَأَةَ حَبِيبِهِ) [2].

وترجمة ابن حبان هذه فيها لطيفة مهمة، وهي أن الله - ﷻ - يعجب ويُعجِّب ملائكته من الثائر عن فراشه ليصلي بالليل ويدعوهم ليعجبوا فيقول: (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ ...).

وعندما تعجب الملائكة من المؤمنين وهم على طاعة الله - تعالى - تلهج بالدعاء لهم والشفاعة عند ربهم - سبحانه - كما قال - تعالى - عن حملة العرش: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [غافر: ٧- ٩].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: ٩/٢٨٩٠.

(٢) صحيح ابن حبان (الإحسان): ٦/٢٩٧.

المبحث الخامس

عجب الله - تعالى - من عبده يقاتل عند انهزام القوم حتى يقتل

قال أبوداود السجستاني حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: " عَجِبَ رَبُّنَا – ﷻ – مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ – يَعْنِي أَصْحَابَهُ – فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ " (١).

(غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، أَيْ: حَارَبَ أَعْدَاءَ اللَّهِ (فَانْهَزَمَ)، أَيْ: غُلِبَ وَهَرَبَ (مَعَ أَصْحَابِهِ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ)، أَيْ: مِنَ الْإِثْمِ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ (فِي الِانْهِزَامِ): إِذَا كَانَ بِغَيْرِ عُذْرٍ لَهُ فِي الْمَقَامِ (وَمَا لَهُ)، أَيْ: وَعَلِمَ مَا لَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ (فِي الرُّجُوعِ)، أَيْ: فِي الْإِقْبَالِ عَلَى مُحَارَبَةِ الْكُفَّارِ، وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْعَدَدِ وَأَقْوَى مِنْهُ فِي الْعُدَدِ، (فَرَجَعَ)، أَيْ: حِسْبَةً لِلَّهِ وَجَاهَدَ (حَتَّى أُهْرِيقَ)، أَيْ: صُبَّ (دَمُهُ): يَعْنِي: قُتِلَ)(٢).

وفي هذا الحديث أيضاً ما يشير إلى أن عجب الله تعالى من رجوع عبده وثباته يبلغ الغاية لدرجة أنه يباهي ملائكته بهذا العبد، (فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي

---

(١) رواه أبوداود في سننه: كتاب: الجهاد، بَابٌ: فِي الرَّجُلِ يَشْرِي نَفْسَهُ، برقم (٢٥٣٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي بن (سلطان) محمد، الهروي: ٩٢٧/٢.

حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ) .

وهذا الحديث وإن كان نصًا في عجب الرب – سبحانه – من العبد المؤمن الذي لديه إحساس بالمسؤلية تجاه أمته والدفاع عنها في ميدان المعركة إلا أنه يلفت الأنظار إلى ضرورة الثبات في كافة الميادين، وعدم الفرار عند الشعور بالانهزام، فما أكثر ما تقع الهزائم للأمة الآن والناس لا يكترسون لذلك، ما أكثر ما نفر مهزومين في كافة الميادين دون أن يتمعر الوجه أو يستاء الضمير .

ترى هل يعجب الله – تعالى – ويرضيه هذا الفرار الجماعي والانهزام في كافة الميادين، لقد كان سلف هذه الأمة طول تاريخها يتنادون: أنت على ثغر من ثغور الإسلام فاحذر أن يؤتى الإسلام من قبلك .

روى محمد بن نصر المروزي قال حدثنا محمد بن إدريس، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا أيوب بن سويد سمعت الأوزاعي يقول: (كان يقال ما من مسلم إلا وهو قائم على ثغرة من ثغر الإسلام فمن استطاع ألا يؤتى الإسلام من ثغرته فليفعل)(١).

وروى محمد بن نصر من حديث يزيد بن مرثد مرسلاً قال: قال رسول الله – ﷺ –: "كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، الله الله، لا يؤتى الإسلام من قبلك) "(٢).

---

(١) أخرجه المروزي في كتاب السنة: ١٣/١، برقم (٢٩) إسناده ضعيف، ومعناه صحيح يدخل تحت المقاصد العامة كقوله تعالى: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا } [النساء: ٧١].

(٢) أخرجه المروزي في كتاب السنة: ١٣/١، برقم (٢٨)، وإسناده حسن بسبب =

وروى المروزي – أيضاً– بسنده عن الحسن بن حي (ت ١٦٧هـ) قال: (إنما المسلمون على الإسلام بمنزلة الحصن، فإذا أحدث المسلم حدثا ثُغِر في الإسلام من قِبَلِه، فإن أحدث المسلمون كلهم فاثبت أنت على الأمر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالأمر الذي أراده من خلقه، لا يؤتى الإسلام من قِبَلِك) (١).

وهذا التعبير عن ضرورة الثبات فهمه علماء الأمة من وصيته – ﷺ – لمن يكلفه بالحراسة في الغزو فيقول له: (... اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ، وَلَا نُغَرَّنَّ(٢) مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ..) (٣).

وتفاصيل أحكام الفرار والتحيُّز موجودة في كتب الفقه المطولة والمختصرة، وكلها تُبنى على النداء الرباني لعباده: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [الأنفال: ١٥، ١٦].

فكأن هذه الآية تشير إلى شيء آخر مما أهَّل هذا العبدَ ليعجب الله – تعالى – من ثباته، وهو أنه مستجيب لنداء ربه كما في السياق السابق والله أعلم .

= الوضين بن عطاء ورتبته عند ابن حجر: صدوق سيء الحفظ. انظر: تهذيب التهذيب: ١١/١٢١.

(١) أخرجه المروزي في كتاب السنة: ١/١٤، برقم (٣٠) وهو مقطوع .

(٢) أَيْ: لَا يَجِيئُنَا الْعَدُوُّ مِنْ قِبَلِكَ عَلَى غَفْلَة. عون المعبود: ٥/٣٩٤.

(٣) جزء من حديث رواه أبوداود في سننه: كتاب: الجهاد، باب: فضل الحَرَس في سبيل الله – ﷻ –، برقم (٢٥٠١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

المبحث السادس

عجب الله - تعالى - من الشاب العفيف

قال الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: " إِنَّ اللهَ - ﷻ - لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ "(١).

أورد الإمام ابن بطة (ت ٣٨٧هـ) هذا الحديث في كتاب الإبانة، وترجم له بقوله: (بَابُ: الْإِيمَانِ بِالتَّعَجُّبِ وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجَبُ ...) ثم قال: (وَالتَّعَجُّبُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْمَحَبَّةُ بِتَعْظِيمِ قَدْرِ الطَّاعَةِ وَالسُّخْطِ بِتَعْظِيمِ قَدْرِ الذَّنْبِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ - ﷺ -: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ»، أَيْ أَنَّ اللَّهَ مُحِبٌّ لَهُ رَاضٍ عَنْهُ عَظِيمٌ قَدْرُهُ عِنْدَهُ، وَالثَّانِي: التَّعَجُّبُ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِنْكَارِ لِلشَّيْءِ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ لِأَنَّ الْمُتَعَجِّبَ مِنَ الشَّيْءِ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِنْكَارِ هُوَ الْجَاهِلُ بِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ، فَلَمَّا عَرَفَهُ وَرَآهُ اسْتَنْكَرَهُ، وَعَجِبَ مِنْهُ، وَجَلَّ اللَّهُ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ.

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٢٨/٦٠٠ برقم (١٧٣٧١)، من حديث عقبة بن عامر - ﷺ -، وقال الأرناؤوط: (حسن لغيره، عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ، لكن الراوي عنه هنا هو قتيبة بن سعيد، وقد مشّى بعض أهل العلم حديثه عن ابن لهيعة، وذلك لأنه كتب أحاديثه من كتاب ابن وهب ثم سمعها من ابن لهيعة، وكان ابن وهب ممن سمع منه قديماً قبل اختلاطه واحتراق كتبه. وحسّن هذا الإسناد الهيثمي في "المجمع": ١/٢٧٠، وله شاهد عن أبي هريرة ... وأخرجه الطبراني في "الكبير": ١٧/٨٥٣، من طريق قتيبة بن سعيد، بهذا الإسناد، وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٥٧١)، وأبو يعلى (١٧٤٩) .

وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - بِمَا دَلَّ عَلَى التَّعَجُّبِ الْأَوَّلِ) [١].

وأورده الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) عند كلامه عن التوبة، وقال: (إن الناس قسمان، شابٌّ لا صَبوةَ له، نشأ على الخير واجتناب الشَّرِّ، وقال: إن هذا القِسم عزيز نادر ...)[٢].

المراد بالصبوة: (يقال: تَصابى، وصَبا يصبو صبوة وصبوا، أي مال إلى الجهل والفتوّة. وأَصْبَتْهُ الجارية، وصبى صباء، مثل سمع سماعا، أي لعب مع الصبيان) [٣].

(وصَبَا إليه صَبْوَةً وصُبُواً حَنَّ وكانت قريشٌ تُسَمِّي أصحابَ النبيِّ - ﷺ - صُبَاةً وأصْبَتْهُ المرأةُ وتَصَبَّتْهُ شاقَتْهُ ودَعَتْه إلى الصِّبَي فحنَّ لها وصَبَا إليها وصَبا مالَ وكذلك صَبَتْ إليه وصَبِيَتْ وتَصبَّاها هو دَعاها إلى مثلِ ذلك وتَصبَّاها أيضاً خَدَعها) [٤].

قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ): (وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «وشابٌّ ليْست لَهُ صَبْوَةٌ» أَيْ مَيْلٌ إِلَى الهَوَى، وَهِيَ الْمَرَّةُ مِنْهُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّخَعِيِّ «كَانَ يُعْجِبُهم أَنْ يكونَ لِلْغُلَامِ إِذَا نَشَأَ صَبْوَةٌ» إِنَّمَا كَانَ يُعجبهم ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا تَابَ وَارْعَوَى كَانَ أَشَدَّ لاجْتِهادِهِ فِي الطّاعَة، وَأَكْثَرَ لِنَدَمِه عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وأَبْعَدَ لَهُ مِنْ أَنْ يُعْجب بعَمَله أَوْ يتَّكل عَلَيْهِ)[٥].

---

(١) الإبانة الكبرى: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري ابن بَطَّة: ١٣١/٧.

(٢) إحياء علوم الدين: أبوحامد محمد بن محمد الغزالي: ١٧٦/٢.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: ٢٢٨٩/٦.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده: ٢٨٤/٨.

(٥) غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي: ١٣٤/٣.

والكلام فِي هَذَا الحديث، كالكلام فِي الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذَلِكَ عليه، وحمله عَلَى ظاهره إذ ليس فِي ذَلِكَ ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت عجبا هو تعظيم لأمر دهمة استعظمه لم يكن عالما به، لأنه مما لا يليق بصفاته، بل نثبت ذَلِكَ صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته، فإن قيل: المراد به تعظيم ذَلِكَ وتكثيره عند أهله حثا عَلَى فعلها، وترغيبا فِي المبادرة إليها، ويحتمل أن يكون المراد به الرضا له والقبول، لأن من أعجبه الشيء فقد رضيه، ولا يصح أن يعجب مما يسخطه ويكرهه.

ويكافئ الله الشاب العفيف بأن يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَن النَّبِيّ - ﷺ - قَالَ: (سبعة يظلهم الله فِي ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فِي عُبَادَة ربه - ﷻ -، ورجل قلبه متعلق فِي المساجد، ورجلان تحابا فِي الله اجتمعا عَلَى ذَلِكَ وتفرقا عَلَيهِ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فَقَالَ: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حَتَّى لا تعلم شماله مَا تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) (١).

قال الحافظ ابن رجب (ت ٧٩٥هـ): (هذه السبعة اختلفت أعمالهم فِي الصورة، وجمعها معنى واحد، وَهُوَ مجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها، وذلك يحتاج أولاً إلى رياضة شديدة وصبر عَلَى الامتناع مِمَّا يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطمع، وفي تجشم ذَلِكَ مشقة شديدة عَلَى النفس، ويحصل لها بِهِ تألم عظيم، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عِنْدَ هيجانها إذا لَمْ يطفء ببلوغ الغرض من ذَلِكَ، فلا

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم (٦٦٠).

جرم كَانَ ثواب الصبر عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إذا اشتد الحر فِي الموقف، ولم يكن للناس ظل يظلهم ويقيهم حر الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة فِي ظل الله – ﷻ –، فَلَمْ يجدوا لحر الموقف ألماً جزاءً لصبرهم عَلَى حر نار الشهوة أو الغضب فِي الدنيا) (١).

ومن هؤلاء السبعة: (الثاني: الشاب الَّذِي نشأ فِي عبَادَة الله – ﷻ – فإن الشباب شعبة من الجنون، وَهُوَ داع للنفس إلى استيفاء الغرض من شهوات الدنيا ولذاتها المحظورة، فمن سلم مِنْهُ فَقَدْ سلم ... وفي بعض الآثار: يَقُول الله(٢): (أيها الشاب التارك شهوته، المتبذل شبابه من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي)(٣).

(والخامس: رَجُل دعته أمرأة ذات منصب وجمال، ويعني بالمنصب: النسب والشرف والرفعة فِي الدنيا، فإذا اجتمع ذَلِكَ مَعَ الجمال فَقَدْ كمل الأمر وقويت الرغبة، فإن كَانَتْ مَعَ ذَلِكَ هِيَ الطالبة الداعية إلي نفسها، كَانَ أعظم وأعظم، فإن الامتناع بعد ذَلِكَ كله دليل عَلَى تقديم خوف الله عَلَى هوى النفس، وصاحبه داخل فِي قوله تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: ٤٧/٦.

(٢) فتح الباري: لابن رجب: ٤٧/٦.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ١١٧/١، برقم (٣٦)، وأبونعيم في الحلية ١٣٨/٤، وقال: (غريب من حديث شريح تفرد به يحي عن عبدالجبار)، وقال عنه الحافظ العراقي في التعليق على الإحياء: ٣٣١/١: (أخرجه ابن عدي من حديث ابن مسعود بسند ضعيف).

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات: ٤٠]، وهذا كما جرى ليوسف عَلَيْهِ السلام، قَالَ عُبَيْدِ بْن عمير: من صدق الإيمان وبره إسباغ الوضوء فِي المكاره، ومن صدق الإيمان وبره أن يخلو الرَّجُلُ بالمرأة الجميلة فيدعها، لا يدعها إلا لله – ﷻ –، ومثل هَذَا؛ إذا قَالَ: (إني أخاف الله) فهو صادق فِي قوله؛ لأن علمه مصدق لقوله، وقوله لها: (إني أخاف الله) موعظة لها، فربما تنْزجر عَن طلبها، وترجع عَن غيها، وقد وقع ذَلِكَ لغير واحدٍ، وفيه حكايات مذكروة فِي كِتَاب (ذم الهوى) وغيره) [(١)].

وخلاصة القول: أن الحكمة في عجب الله – تعالى – من الشاب العفيف: أن الشاب يغلب فيه الانحراف والتقصير والميل إلى الشهوات، فيرضى الله تعالى من هذا الشاب ينتصر على شهواته ورغباته، فيلجم نفسه ويكبح جماحها، واختصاص الشاب العفيف بالذكر دون الشابة العفيفة لا يعني أن الله لا يعجب من عفافها، ولكن لأن الشاب أكثر جرأة على الميل والانحراف ومتابعة الهوى .

وحتى يبلغ الشاب هذه المنزله التي تُدخله في مرضات ربه – ﷻ – لا بد أولا: من طلب العفاف من الله– تعالى – كما في الحديث: (ومن يستعفف يعفه الله)[(٢)] ثم لابد من الحذر من تدبير أهل الشهوات لإيقاع الشباب في الميل والانحراف، كما قال تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا } [النساء: ٢٧].

---

(١) فتح الباري لابن رجب: ٤٧/٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، برقم (١٤٢٧).

ومن أخطر ما يُطرح منذ فترة بعيدة اقتراح تدريس الجنس في المراحل الدراسية، (ففي عام ١٩٩٥ ميلادية، اجتمعت دول العالم بدعوة من الأمم المتحدة لمناقشة قضايا تخص المرأة، وانتهت إلى ما يُعرف بـ «وثيقة بكين»، التي وقعتها عديد من الدول العربية والإسلامية، ونصت على أهمية تدريس مادة تحمل عنوان «الثقافة الجنسية»، لكن محتوى الوثيقة بالنسبة لتعامل الغرب مع الجنس يختلف عنه في المجتمعات الإسلامية وهو ما ظهر عندما انتقد الأزهر والجماعات الدينية تلك الوثيقة، واعتبروها مخالفة للشريعة الإسلامية، ورأى الأزهر أن وثيقة بكين تسمح للأمم المتحدة بفرض النمط السلوكي الغربي، متناسيةً خصوصية بعض المجتمعات، وتنص تلك الوثيقة على المطالبة بتقديم خدمات الصحة الإنجابية للأطفال والمراهقين عن طريق التعليم والإعلام، وذلك لتعليم المراهقين ما يسمى بالجنس الآمن، أي كيفية ممارسة الجنس مع توقي حدوث الحمل أو انتقال الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي، وتوفير وسائل منع الحمل للأطفال والمراهقين في المدارس، وإباحة الإجهاض بحيث يكون قانونيًّا، والمطالبة بالمساواة بين الجنسين في جميع الحقوق)[١].

يحكي أحد أولياء الأمور من المسلمين القاطنين في الغرب – وقد أزعجه تدريس الجنس لأولاده – حضوره لحصة في هذا الجانب ليحكم على الأمر بدقة، يقول: (استقبلتنا المدرِّسة ريغينا تايشمان في الرواق السفلي للمدرسة ثم أسرعت بإدخالنا قاعة التدريس. إنها حصة التربية الجنسية

(١) لماذا تخشى المجتمعات العربية تدريس الجنس ؟ محمد صلاح، مقال بالشبكة العنكبوتية، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/٦م .

للفصل (٦ أ) وموضوع حصة اليوم هو كيف ولماذا يتم استعمال وسائل منع الحمل. وبينما كانت المدرِّسة تخرج موزة وعازلا مطاطيا من حقيبتها لتضعهما على طاولتها، كان الأطفال يحدقون إليها بشغف كبير. ما إن شرعت السيدة تايشمان في شرح الدرس حتى أخذ ثلة من الأطفال يتهامسون بصوت خافت، فيما احمرت وجوه طالبات أخريات أخذن يتبادلن النظر فيما بينهم في حيرة من أمرهم، وطلبة آخرون أخذوا يضحكون بأصوات عالية، علقت المدرِّسة على ردود فعل الأطفال بقولها: "إنه تصرف عادي وسليم، لقد تعرف الأطفال بتصرفهم هذا على معلومة جديدة ألا وهي أن بإمكان المرء التحكم في حياته الجنسية للوقاية من الأمراض وعدم الإنجاب"، وترى المدرِّسة أن تصرف طلابها الجدد من السوريين لا يختلف عن أندادهم في الفصل من الطلبة الآخرين، وتعلق في هذا السياق قائلة: "لقد كان الأطفال السوريون بدورهم وعلى غرار الطلاب الآخرين يوجهون أسئلة ويقدمون توضيحات، لقد كانوا متعطشين لمعرفة الحقيقة التي لم يحصلوا عليها في بيوتهم) [(١)].

وأعتقد أنه بعد هذا التلاطم لأمواج الانحراف يَعْظُم عَجَبُ ربنا – سبحانه وتعالى – من الشاب المبتعد عن الميل والانحراف، وإنها لدعوة إلى الشباب أن يتمسكوا بكل قيم العفاف والطهر، وإن لم يُعْجَب بهم أهل الشهوات ويُبْدُوا إعجابهم بهم فيكفي أن يُعْجَب الله تعالى لبُعدهم عن التصابي والانحراف .

---

(١) التربية الجنسية في مدارس ألمانيا .. كيف يتعامل اللاجئون معها ؟ : شكري الشابي، مقال بالشبكة العنكبوتية، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/٦م .

المبحث السابع

عجب الله - تعالى - من مُدَاعَبَةِ الرجل زَوْجَتَهُ

قَالَ أبوالقاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، (ت ٥٣٥هـ): حَدَّثَنَا الطَّبَرَانِيُّ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الصَّايِغُ، نَا مُحَمَّدُ ابْن إِسْحَاق المسيبي، نَا يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ النَّوْفَلِي، عَن أَبيه، عَن يزِيد بْن خُصَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ - ﷻ - لَيَعْجَبُ مِنَ مُدَاعَبَةِ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ فَيَكْتُبُ لَهُمَا بِذَلِكَ أَجْرًا وَيَجْعَلُ لَهُمَا بِذَلِكَ رِزْقًا)(١).

هذا الحديث وإن ضعفه أهل الصنعة الحديثية من جهة إسناده(٢)، إلا أنه من الضعيف الذي يسوغ العمل به بشروط المحدثين، وهي منطبقة عليه، وله في الصحيح ما يشهد لمحتواه، ويؤكد على مضمونه.

فعند البخاري من حديث جابر بن عبدالله الأنصاري - ﷺ - لما أخبر النبي - ﷺ - أنه نكح ثيباً، قال له: (فَهَلا جَارِيَةً تُلاعِبُكَ ...)(٣).

وعند مسلم بلفظ: (أفلا تزوجت بكراً تلاعبك وتلاعبها؟)(٤).

---

(١) رواه أبوالقاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: ٤٧١/١، والإسناد ضعيف لكن المتن صحيح بشواهده .

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة للألباني، برقم (٣١٠٤)، وقال: (منكر).

(٣) رواه البخاري في صحيح: كتاب: المغازي، باب: (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ...) ص ٥٥٢، برقم (٤٠٥٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: المساقاة، باب: بيع البعير واستثناء ركوبه، برقم (٧١٥).

وعند أحمد بلفظ: (... تلاعبك وتلاعبها وتضاحكك وتضاحكها) [1].

المراد بالمداعبة:

مصدر دَاعَبَ يُداعب، مُداعَبةً، فهو مُداعِب، مُمازحة، مُلْحةٌ وفكاهة، يقال: دَاعَبَ أصْدِقَاءهُ: مَازَحَهُمْ، ودَعَبَ الرَّجُلُ: مَزَحَ وَأَتَى بِمَا هُوَ مُسْتَمْلَحٌ، والدعب: صوت الإنسان المازح والممازح ؛ وصوت ريح شديدة تذهب بكل شيء ... ودَعِبٌ وداعِبٌ لاعبٌ وأَدْعَبَ الرجلُ أَمْلَحَ أي قال كلمة مليحةً، وهو يَدْعَبُ دَعْباً أي قال قولاً يُسْتَمْلَحُ، كما يقال مَزَحَ يَمْزَحُ ... يقال تَدَعَّبْتُ عليه أي تَدَلَّلْتُ وإنه لَدَعِبٌ وهو الذي يتمايل على الناس ويَرْكَبُهم بثَنِيَّتِه أي بناحيتِه وإنه ليَتَداعَبُ على الناسِ أي يَرْكَبُهم بمزاحٍ وخُيَلاء ويَغُمُّهم ولا يَسُبُّهم والدَّعِبُ اللَّعَّابةُ قال الليث فأما المُداعَبةُ فعلى الاشتراك كالمُمازَحةِ اشترك فيها اثنان أَو أَكثر والدَّعْبُ الدَّفْعُ ودَعَبَها يَدْعَبُها دَعْباً نَكَحها [2].

القصد من المداعبة:

قال الماوردي (ت٤٥٠هـ): (العاقل يتوخى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما: أحدهما: إيناس المصاحبين، والتودد إلى المخالطين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول، وبسط من مستحسن الفعل، كما قال حكيم لابنه: يا بني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء، والتقصير فيه نقص بالمؤانسين، وتوحش بالمخالطين، والثاني: أن ينبغي

---

(١) رواه أحمد في المسند من حديث جابر – ﷺ –، برقم (١٥٠١٣): ٢٥٧/٢٣، وقال الأرناؤوط: (صحيح على شرط مسلم) .

(٢) انظر: تاج العروس، ولسان العرب، والنهاية في غريب الحديث والأثر: مجدالدين ابن الأثير الجزري: ١٠٤/٢.

من المزاح لما طرأ عليه، وحدث به من هم، وقد قيل: لا بد للمصدور أن ينفث، ومزاح النبي - ﷺ - لا يخرج عن ذلك، وأتى رجل عليًا كرم الله وجهه فقال: احتلمت بأبي، قال: أقيموه في الشمس، واضربوا ظله الحد، أما مزاح يُفضي إلى خلاعة، أو يفضي إلى سُبّة فهُجنة ومذَمة) [(١)] .

وقال ابن بطال - رحمه الله - (ت ٤٤٩هـ): (وفيه: أن ملاعبة الأهل مستحبة؛ لأن ذلك يحبب الزوجين بعضهما لبعض، ويخفف المؤنة بينهما، ويرفع حياء المرأة عما يحتاج إليه الرجل فى مباعلتها، قال الله تعالى فى نساء الجنة: { عربًا أترابًا } [الواقعة: ٣٧] والعَرُوب المتحببة إلى زوجها، ويقال: العاشقة له، ويقال: الحسنة التبعل. وقوله: (أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً)، يريد حتى يسبقكم خبر قدومكم إلى أهليكم، (فتستحد المغيبة وتمتشط الشعثة)[(٢)]، أى تصلح كل امرأة نفسها لزوجها مما غفلت عنه فى غيبته، وإنما معنى ذلك لئلا يجد منها ريحًا أو حالة يكرهها، فيكون ذلك سببًا إلى بغضتها، وهذا من حسن أدبه - عليه السلام -) [(٣)].

وقال النووي - رحمه الله - (ت ٦٧٦هـ) معلقًا على حديث جابر: (وَفِيهِ مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَمُلَاطَفَتُهُ لَهَا وَمُضَاحَكَتُهَا وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ)[(٤)].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ١٣/٣.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه: كتاب: النكاح، بَابُ: طَلَبِ الوَلَدِ، ص ٧٤٩، برقم (٥٢٤٦) .

(٣) شرح صحيح البخارى: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال: ١٧٢/٧.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: ٥٢/١٠ برقم (١٣٩٢).

وقال أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة (ت ٥٦٠هـ)، (وقوله: (فهلا بكرًا) وذلك أنه اختار له الأجود والأفضل؛ ولأن أصلح ما قصد به في التزويج أن يلائم بين القرينين المتجانسين بعد حصول الدين أن ينكح الشاب الشابة، والكهل الكهلة، والحسيب الحسيبة، وهذا يدل أن جابرًا كان شابًا، وفي الحديث دليل على جواز ملاعبة الرجلِ المرأةَ، والمرأةِ الرجلَ، لأن في ذلك ألفة وغرس محبة) (١).

وعند النسائي عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَنْصَارِيَّيْنِ -رضي الله عنهما- أن رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قال: (كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَهُوَ لَعِبٌ، إِلَا أن يَكُونُ أَرْبَعَةٌ: مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَعَلُّمُ الرَّجُلِ السَّبَّاحَةَ)(٢).

(كل شيء لَيْسَ من ذكر الله فَهُوَ لَهو ولَعب)، أي: فَهُوَ مَذْمُوم وكل مَا لَا يُوصل إِلَى لَذَّة فِي الْآخِرَة فَهُوَ بَاطِل، (إِلَّا أَن يكون أَرْبَعَة) أَي وَاحِدَة من أَرْبَعَة هِيَ: (ملاعبة الرجل امْرَأَته وتأديب الرجل فرسه وَمَشى الرجل بَين الغرضين) فِي الْقِتَال أَي تبختره بَينهمَا (وَتَعْلِيم الرجل السباحة) - بِكَسْر الْمُهْمِلَة وَفتح الْمُوَحدَة - العوم فَإِنَّهُ عون وَلِهَذَا جَازَ اللّعب بالدف لإعانته

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح: أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة: ٢٦٨/٨.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى: باب ملاعبة الرجل زوجته، برقم (٨٨٨٩)، وأورده ابن حجر في الإصابة وقال: (إسناده صحيح): ٥٥٠/١، ورواه الطبراني في الكبير، برقم (١٧٨٥) من حديث جابر بن عمير، وفي الأوسط: ١١٨/٨، برقم (٨١٤٧)، من حديثهما، وقال الهيثمي في الزوائد: ٢٧٢/٥: (رجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت).

على النِّكَاح كَمَا تعين لَذَّة الرَّمْي بِالْقَوْسِ وتأديب الْفرس على الْجِهَاد وكَذَا ملاعبة الزَّوْجَة من الْحق لإعانتها على النِّكَاح المحبوب لله) (١).

(ولهذا كانت لذة اللعب بالدف جائزة لإعانتها على النكاح كما تعين لذة الرمي بالقوس وتأديب الفرس على الجهاد وكلاهما محبوب لله فما أعان على حصول محبوبه فهو من الحق، ولهذا عد ملاعبة الرجل امرأته من الحق، لإعانتها على النكاح المحبوب لله، ولما كانت النفوس الضعيفة كالمرأة والصبي لا تنقاد إلى أسباب اللذة العظمى إلا بإعطائها شيئا من اللهو واللعب، بحيث لو فطمت بالكلية طلبت ما هو شر لها منه رخص لهما في ذلك ما لم يرخص لغيرهما، كما دخل عمر على النبي - ﷺ - وعنده جوار يضربن بالدف فأسكتهن لدخوله قائلا: هو لا يحب الباطل ولم يمنعهن لما يترتب عليه من المفسدة) (٢).

وقال الصنعاني (ت ١١٨٢هـ): (... إن هذه الخصال وإن كانت من اللهو فإنها لا تذم ولا يمقت الله فاعلها بل يؤجر عليها إن صلح مقصده ومن ثم أبيح ضرب الدف في الأعراس لأنه يعين على النكاح كما يعين التدرب بالرمي بالقوس على الجهاد) (٣).

ومن طريف ما جاء في قصة أم زرع الشهيرة التي تروي فيها أمنا

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي: ٢١٤/٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي: ٢٣/٥.

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني: ١٨١/٨.

عائشة – رضي الله عنها – اجتماع إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، تَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لاَ يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، فكان أن (قَالَتِ الخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ) (١).

(... أما من جهة أنه غليظ الطبع، ليست عنده مداعبة ولا ملاعبة قبل المواقعة، بل يثب وثوبًا كالوحش، أو من جهة أنه كان سيء الخلق يبطش بها ويضربها، وإذا خرج على الناس كان أمره أشد في الجرأة والإقدام والمهابة كالأسد ... وقولها ولا يسأل عما عهد يحتمل المدح والذم أيضًا فالمدح بمعنى أنه شديد الكرم كثير التغاضي لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك أو لا يلتفت إلى ما يرى في البيت من المعايب بل يسامح ويغضي، ويحتمل الذم بمعنى أنه غير مبال بحالها حتى لو عرف أنها مريضة أو معوزة وغاب ثم جاء لا يسأل عن شيء من ذلك، ولا يتفقد حال أهله ولا بيته بل إن عرضت له بشيء من ذلك وثب عليها بالبطش والضرب، وأكثر الشراح شرحوه على المدح فالتمثيل بالفهد من جهة كثرة التكرم أو الوثوب وبالأسد من جهة الشجاعة وبعدم السؤال من جهة المسامحة ...) (٢).

وخلاصة القول: أن المداعبة تدل على سعة الصدر وانبساط النفس وصفاء القلب ولين العريكة وسهولة الخلق، وهي مؤشر حالة نفسية

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: النكاح، بَابُ: حُسْنِ المُعَاشَرَةِ مَعَ الأَهْلِ، برقم (٥١٨٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر: ٢٦٢/٩، وانظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم: موسى شاهين لاشين: ٣٩٩/٩.

ومزاجية معتدلة، ومطلوب من المؤمن أن يزكي نفسه ليبلغ هذه الحالة من حسن الخلق مع الناس عموماً، ولا نبعد إن قلنا: إنها من الحسن الذي أمر الله – تعالى – بقوله لعموم الناس: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً } [البقرة: ٨٣]، ومع أهله خصوصاً، وذلك لما ثبت من قوله – ﷺ –: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) (١).

قال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (كان من أخلاقه – ﷺ – معهن أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – في البرية في بعض سفراته يتودد إليها بذلك، قالت: " سابقني رسول الله فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني فقال: " هذه بتلك "(٢) وكان يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله – ﷺ – فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤنسهم بذلك – ﷺ –)(٣).

---

(١) رواه الترمذي في سننه: كتاب: المناقب، باب: في فضل أزواج النبي – ﷺ – برقم (٣٨٩٥)، وقال أبوعيسى: (هذا حيث حسن غريب صحيح من حديث الثوري)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(٢) رواه أبوداود في سننه: كتاب: الجهاد، باب: في السبق على الرجل، برقم (٢٥٧٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان): ٥٤٥/١٠، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح) .

(٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: ٢١٢/٢.

وقد تكون الحكمة في عجب الرب – سبحانه – من مُدَاعَبَةِ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ، أن الكثير من الرجال قد يسرف في استنفاد طاقته في المزاح والدعابة خارج البيت مع أصحابه – أو في الحرام – فإذا عاد إلى البيت لم يبق لأهله شيء، فيكون الكدر والكآبة هو ما يخيم بظلاله على البيت، وينقلب إلى شخص آخر، يغضب لأتفه الأسباب، ويثور لأقل المشكلات وكأنه يتربص بأهله المواقف، وقد يظن بعض الرجال أن هذا من الهيبة وأنه من لوازم الرجولة، وهو لا يدري أنه بذلك يخالف هدي النبي – ﷺ – في التعامل مع أهل بيته، وأنه بذلك يدق مسمارًا في نعش علاقته الزوجية، ويحرم بذلك نفسه من أن يُعجب الله – تعالى – بعمله .

ومما يجدر التنبيه عليه هنا أن الحديث يؤكد على أن الله – تعالى – يكتب للزوجين المتداعبين أجراً ويجعل لهما رزقاً: (فيَكْتُبُ لَهُمَا بِذَلِكَ أَجْرًا وَيَجْعَلُ لَهُمَا بِذَلِكَ رِزْقًا) .

وفي الحديث دعوة واضحة لتحقيق السعادة الزوجية – التي يبحث عنها الناس – في أكمل صورها .

المبحث الثامن

عجب الله تعالى ممن يقادون إلى الجنة في السلاسل

قال البخاري (ت ٢٥٦هـ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ» (١).

وروى أبوداود في سننه قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «عَجِبَ رَبُّنَا - ﷻ - مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ» (٢)

وروى الطحاوي (ت ٣٢١هـ) في مشكل الآثار قال: مِمَّا قَدْ حَدَّثَنَا الْكَيْسَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْخَصِيبُ بْنُ نَاصِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ أَبِي الْأَعْيَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ: ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - حَتَّى اسْتَغْرَبَ، فَقَالَ: " أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ ضَحِكْتُ ؟ " قَالُوا: مِمَّ ضَحِكْتَ، يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: " عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ، وَهُمْ يَتَقَاعَسُونَ عَنْهَا، فَمَا يُكَرِّهُهَا إِلَيْهِمْ "، قَالُوا: وَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: الْأُسَارَى فِي السَّلَاسِلِ، ص ٤٠٦ برقم (٣٠١٠) .

(٢) رواه أبوداود في سننه: كتاب: الجهاد، بَابٌ: فِي الْأَسِيرِ يُوثَقُ، برقم (٢٦٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ورواه أحمد في مسنده: ٢٧٦/١٥، برقم (٩٢٧١)، من حديث أبي هريرة - ﷺ -، وقال الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم).

" قَوْمٌ مِنَ الْعَجَمِ يَسْبِيهِمُ الْمُهَاجِرُونَ لِيُدْخِلُوهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ كَارِهُونَ "[1]، وَمَا حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُبَارَكُ ابْنُ فَضَالَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي كَثِيرٌ أَبُو مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ: ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – ثُمَّ قَالَ: " أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ ضَحِكْتُ ؟ " ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ فَكَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ أَدْخَلُوا الْعَجَمَ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَتَّى صَارَ فِيهِمْ مَنْ عَلِمَ وَعَقَلَ عَنِ اللهِ – ﷻ –، وَعَنْ رَسُولِهِ شَرَائِعَ دِينِهِ، حَتَّى صَارَتْ إِلَيْهِ مُطَالَبَةُ مَنْ خَرَجَ عَمَّا عَلَيْهِ مِنْهُ إِلَى ضِدِّهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ قِتَالَهُمْ عَلَى مَا قَاتَلُوهُمْ بَدْءًا، حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ بِذَلِكَ فِيمَا أَدْخَلُوهُمْ فِيهِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِنَ الْعَجَمِ مَنْ قَدْ وَصَفَهُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ، حَتَّى قَالَ فِيهِ: " لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالثُّرَيَّا، أَوْ: لَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِالثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ " فَنَظَرْنَا هَلْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ – ﷺ – مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَمْ لَا ؟[2]، فَوَجَدْنَا إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُونُسَ قَدْ حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ابْنُ قَزَعَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّمَيْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي يَحْيَى الْأَسْلَمِيُّ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ – ﷺ – يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَأَخَذَ الْكَرْزَنَ[3] فَحَفَرَ بِهِ، فَصَادَفَ حَجَرًا فَضَحِكَ، فَسُئِلَ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:

(١) شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي: ١٦١/٩، برقم (٣٥٣٣).

(٢) المرجع السابق: ١٦١/٩، برقم (٣٥٣٥) .

(٣) الكرزن – بفتح الكاف وكسرها –: الفأس، والجمع كرازن وكرازين.
النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٣٧/٢.

" مِنْ نَاسٍ يُؤْتَى بِهِمْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ بِالْكُبُولِ [1] يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَهُمْ كَارِهُونَ " فَعَقَلْنَا بِذَلِكَ أَنَّهُ – ﷺ – إِنَّمَا أَرَادَ مِنَ الْعَجَمِ، بِمَا قَالَهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا، الْعَجَمَ الَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ فَارِسَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهَا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَدَخَلُوا فِي قَوْلِ اللهِ – ﷻ –: { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } [الجمعة: ٣]؛ أَيْ: يَلْحَقُونَ بِالْمَذْكُورِينَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ – ﷻ –: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ } [الجمعة: ٢]، وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ[2].

وقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ – ﷺ –: "عَجِبَ رَبُّنَا"، مِنْ أَلْفَاظِ التَّعَارُفِ الَّتِي لَا يَتَهَيَّأُ عِلْمُ الْمُخَاطَبِ بِمَا يُخَاطَبُ بِهِ فِي الْقَصْدِ إِلَّا بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الناس فيما بينهم والقصد في هذا الْخَبَرِ السَّبْيُ الَّذِي يَسْبِيهِمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ مُكَتَّفِينَ فِي السَّلَاسِلِ يُقَادُونَ بِهَا إِلَى دُورِ الْإِسْلَامِ حَتَّى يُسْلِمُوا فَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلِهَذَا الْمَعْنَى أَرَادَ – ﷺ – بِقَوْلِهِ فِي خبر الأسود بن سريع "أوليس خِيَارُكُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ" وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ أُطْلِقَتْ أَيْضًا بحذف من عنها، يريد أوليس من خياركم) [3].

وقال المُلَّا أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي الحنفي (ت: ٣٨٠هـ): (وَلَمَّا كَانَ الْعَجَبُ اسْتِعْظَامَ الشَّيْءِ وَاسْتِكْبَارَهُ، وَكَانَ التَّعْظِيمُ

(١) الكبول: واحده كبْل، وهو القيد الضخم. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٢٣/٢.
(٢) شرح مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي: ١٦١/٩، برقم (٣٥٣٦).
(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي: ٣٤٣/١، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

لِلشَّيْءِ، جَائِزًا عَلَى اللَّهِ – ﷻ – أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَجَبِ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِصِفَةِ الْعَجَبِ بِقَوْلِهِ: { بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ }، قَرَأَهَا الْأَعْمَشُ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَّاءِ بِرَفْعِ التَّاءِ، وَالْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ، وَكُلُّ مَا قَرَأَهُ الْقُرَّاءُ الْمَشْهُورُونَ، فَهِيَ مَأْثُورَةٌ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – ... فَالْعَجَبُ إِذًا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا السَّمْعُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ –: «عَجِبَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ» فَمَعْنَى قَوْلِهِ – ﷺ –: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ، وَفُلَانَةٍ»، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمَا، وَعَظَّمَهُمَا بِهَذَا الْفِعْلِ، وَعَظَّمَ مِقْدَارَهُمَا، وَأَجَلَّ قَدْرَهُمَا بِمَا فَعَلَاهُ مِنْ بَدِيعِ الْأَمْرِ، ... وَهُوَ الْفِعْلُ الْخَارِجُ عَنْ عَادَاتِ النَّاسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ – ﷺ –: «عَجِبَ اللَّهُ»، أَيْ: قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُمَا مَا أَتَيَاهُ، وَرَضِيَ مَا عَمِلَاهُ، وَعَظَّمَ ثَوَابَهُمَا عَلَى مَا فَعَلَاهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْهُمَا لِلْمُؤْمِنِينَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: " أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمَا أَتَيَا مِنَ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ الْبَدِيعِ الَّذِي لَمْ يُجَارِ الْعَادَةُ، فَيَسْتَعْظِمُ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ، لِمَنْ جَاءَ بِهِ، وَالرِّضَا بِهِ، وَالِاسْتِحْسَانِ لَهُ ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ – ﷺ –: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ أَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ» أَيْ: أَظْهَرَ عَجَبَ هَذَا الْأَمْرِ لِخَلْقِهِ، وَبَدِيعَ هَذَا الشَّأْنِ، وَهُوَ أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْعَيْشِ الدَّائِمِ فِيهِ، وَالْخُلُودِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي مِنْ حُكْمِ مَنْ سَمِعَ بِهِ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ، أَنْ يُسَارِعَ إِلَيْهَا، وَيَبْذُلَ مَجْهُودَهُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَيَتَحَمَّلَ الْمَكَارِهَ وَالْمَشَقَّاتِ لِيَنَالَهَا، وَهَؤُلَاءِ يَمْتَنِعُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَيَرْغَبُونَ عَنْهَا، وَيَزْهَدُونَ فِيهَا، حَتَّى يُقَادُونَ إِلَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ، كَمَا يُقَادُ إِلَى الْمَكْرُوهِ الْعَظِيمِ الَّذِي تَنْفِرُ مِنْهُ الطِّبَاعُ،

وَيَأْلَمُ مِنْهُ الْأَبْدَانُ، وَتَكْرَهُهُ النُّفُوسُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «عَجِبَ اللَّهُ – ﷻ – مِنْ أَقْوَامٍ»، أَيْ: رَضِيَ عَنْ أَقْوَامٍ، وَقِيلَ: نَاسًا، وَرَفَعَ أَقْدَارَ عِبَادٍ، وَعَظَّمَ مَرْتَبَةَ مَنْ صِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُقَادُونَ إِلَى نُعَيْمِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِالسَّلَاسِلِ، تَأَبِّيًا مِنْهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَامْتِنَاعًا مِنْهُ، وَنَفْرَةً عَنْهُ، ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِخْبَارٌ عَنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَلِيلِ كَرَمِهِ بَنَى دَارًا، جَعَلَ فِيهَا أَنْوَاعَ النَّعِيمِ، وَمَلَاذَّ النُّفُوسِ، وَقُرَّاتِ الْأَعْيُنِ، وَدَعَا إِلَيْهَا بِأَلْطَفِ دُعَاءٍ، وَبَذَلَهَا بِأَيْسَرِ مُؤْنَةٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا أَقْوَامٌ، وَأَبَوْهَا، وَنَفَرُوا عَنْهَا، فَقَادَهُمْ إِلَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ، فَكَانَ هَذَا فَضْلَهُ وَكَرَمَهُ مَعَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، فَكَيْفَ يَكُونُ فَضْلُهُ وَكَرَمُهُ، وَبِرُّهُ، وَإِحْسَانُهُ بِأَقْوَامٍ رَغِبُوا فِي خِدْمَتِهِ، وَتَحَمَّلُوا الْمَشَقَّاتِ، وَالْمَكَارِهَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ، وَسَأَلُوهُ مَا أَعَدَّ لَهُمْ بِأَلْسِنَةِ الِافْتِقَارِ، وَمَدُّوا إِلَيْهِ طَلَبًا أَيْدِيَ الِاضْطِرَارِ، وَاسْتَعَاذُوا بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ، وَنَارِهِ الَّتِي يَتَهَافَتُ فِيهَا أَقْوَامٌ، فَبَرَّهُمْ عَنْهَا رَحْمَةً عَلَيْهِمْ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، فَكَيْفَ يُطْرَحُ فِيهَا مَنْ يَهْرَبُ مِنْهَا، وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا، أَوْ كَيْفَ يُحْرَمُ مَنْ يَسْأَلُ بِأَلْطَفِ السُّؤَالِ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ الْمَجْهُودَ مِنْهُ دَارًا يَعُودُ إِلَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ مَنْ يَهْرَبُ مِنْهَا، وَيُعْرِضُ عَنْهَا، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، إِنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ، وَمَنٍّ كَرِيمٍ، وَالْمُسْتَعَاذُ بِهِ مِنْ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)[1].

وكلام الكلاباذي جمع بين إثبات العجب على ظاهره وبين التأويل، وربما ينفر أصحاب الظاهر من هذه المعاني لمجرد رؤية أنها تخالف مذهبهم، فيقال: مهلا، أليست هذه المعاني توافق وجها عندكم وهو تفسير

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم ابن الكلاباذي الحنفي: ٢٠١/١.

الصفة بلازمها ؟ فلم الإنكار ؟

وما أجمل ما قال ابن الجوزي في فهم إشارة النبي إلى الذين يقادون إلى الجنة في السلاسل، قال الحافظ: (قَالَ ابن الْجَوْزِيِّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أُسِرُوا وَقُيِّدُوا فَلَمَّا عَرَفُوا صِحَّةَ الْإِسْلَامِ دَخَلُوا طَوْعًا فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ فَكَانَ الْإِكْرَاهُ عَلَى الْأَسْرِ وَالتَّقْيِيدِ هُوَ السَّبَبُ الْأَوَّلُ وَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ عَلَى الْإِكْرَاهِ التَّسَلْسُلَ وَلَمَّا كَانَ هُوَ السَّبَبُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ أَقَامَ الْمُسَبَّبَ مَقَامَ السَّبَبِ)[1].

ويشتهر في معنى هذا الحديث قولهم: (يؤجر المرء على رغم أنفه)، قال العلامة العجلوني – رحمه الله – (ت ١١٦٢هـ): (يؤجر المرء على رغم أنفه، ليس بحديث، قال في التمييز كالمقاصد هو بمعنى قوله – ﷺ –: عجب ربنا – عز وجل – من قوم يقادون للجنة في السلاسل. وفي لفظ "بالسلاسل"، ونحوه "حفت الجنة بالمكاره" انتهى، وأقول الذي يظهر أن معناه أن الإنسان يؤجر على أمر لا يريده كأخذ ماله ظلماً، وقيل "السلاسل قيود الأسارى"، وفي معناه الفقر والمرض وسائر البلايا والمحن فليتأمل، والمشهور على الألسنة "يؤجر المرء رغما عن أنفه) [2].

(١) فتح الباري لابن حجر: ١٤٥/٦.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلوني: ٣٩٤/٢، وانظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: الملا علي القاري، ص ٣٧٧.

المبحث التاسع

عجب الله - تعالى - من الرجل يكرم ضيفه

قال الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ» (١).

وفي رواية للبخاري: (.. ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما)، فأنزل الله تعالى: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } (٢).

إكرام الضيف من الأعمال التي أكد النبي - ﷺ - عليها فأخبر أنه من شعب الإيمان، فعن أبي شريح الكعبي أن رسول الله - ﷺ -: (من كان

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الأطعمة، بَابُ: إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ، برقم (٢٠٥٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: مناقب الأنصار، باب: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة: ص ٥١٥، برقم (٣٧٩٨).

يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ...) [1].

وفي هذا الحديث قصة لها العجب، وقراءة نصها في دواوين السنة قد تغني عن شرح تفاصيلها، إلا إشارة لفوائدها وما اشتملت عليه من اللطائف.

قال الإمام النووي – رحمه الله – (ت ٦٧٦هـ): (... هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ – ﷺ – وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَضِيقِ حَالِ الدُّنْيَا وَمِنْهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكَبِيرِ الْقَوْمِ أَنْ يَبْدَأَ فِي مُوَاسَاةِ الضَّيْفِ وَمَنْ يَطْرُقُهُمْ بِنَفْسِهِ فَيُوَاسِيهِ مِنْ مَالِهِ أَوَّلًا بِمَا يَتَيَسَّرُ إِنْ أَمْكَنَهُ ثُمَّ يَطْلُبُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى مِنْ أَصْحَابِهِ وَمِنْهَا الْمُوَاسَاةُ فِي حَالِ الشَّدَائِدِ وَمِنْهَا فَضِيلَةُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَإِيثَارِهِ وَمِنْهَا مَنْقَبَةٌ لِهَذَا الْأَنْصَارِيِّ وَامْرَأَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمِنْهَا الِاحْتِيَالُ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا كَانَ يَمْتَنِعُ مِنْهُ رِفْقًا بِأَهْلِ الْمَنْزِلِ لِقَوْلِهِ أَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ فَإِنَّهُ لو رأى قلة الطعام وأنهما لايأكلان مَعَهُ لَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ ...) [2].

ويستمر الإمام النووي – رحمه الله – مبدعاً في شرحه لهذا الحديث فيقول: (وَقَوْلُهُ: (فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رحله) إِلَى مَنْزِلِهِ، وَرَحْلُ الْإِنْسَانِ هُوَ مَنْزِلُهُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ أَوْ شَعْرٍ أَوْ وَبَرٍ، قَوْلُهُ: (فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي قَالَ فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ)، هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الصِّبْيَانَ لَمْ

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسهن ص ٨٥٤، برقم (٦١٣٥).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: ١٤/١٣.

يَكُونُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى الْأَكْلِ وَإِنَّمَا تَطْلُبُهُ أَنْفُسُهُمْ عَلَى عَادَةِ الصِّبْيَانِ مِنْ غَيْرِ جُوعٍ يَضُرُّهُمْ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى حَاجَةٍ بِحَيْثُ يَضُرُّهُمْ تَرْكُ الْأَكْلِ لَكَانَ إِطْعَامُهُمْ وَاجِبًا وَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الضِّيَافَةِ وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ - ﷺ - عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا لَمْ يَتْرُكَا وَاجِبًا بَلْ أَحْسَنَا وَأَجْمَلَا - رضي الله عنهما - وَأَمَّا هُوَ وَامْرَأَتُهُ فَآثَرَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِرِضَاهُمَا مَعَ حَاجَتِهِمَا وَخَصَاصَتِهِمَا فَمَدَحَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْزَلَ فِيهِمَا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ولو كان بهم خصاصة فَفِيهِ فَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى فَضِيلَةِ الْإِيثَارِ بِالطَّعَامِ وَنَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَحُظُوظِ النُّفُوسِ أَمَّا الْقُرُبَاتُ فَالْأَفْضَلُ أَن لا يؤثر بها لأن الحق فيها لله - تعالى - ...) [1].

وقد قال بعض العلماء بوجوب إكرام الضيف، وعامة الفقهاء على أنه من مكارم الأخلاق وليس بواجب[2].

ولعلِّي أخلص من خلاف العلماء في المسألة بأن الذين رأوا الضيافة حقًا واجبًا نظروا إلى حال المسافر، وما يكون عليه من وحشة السفر، وتعب الطريق، ومفارقة الأهل .. فأرادوا أن يجعلوا له من إخوانه المؤمنين عوضًا له عمن فارقهم فلا يشعر بوحشة، ومن رأوها سنة نظروا إلى عدم تحريج الناس والإثقال عليهم .

وقد مضت على المسلمين سنون كان المسلم يخرج من الأندلس غربًا يسافر إلى الصين والهند.. شرقًا، ما يشعر بوحشة ولا يحس بغربة، لأنه يشعر أن كل بيت من بيوت المؤمنين في تلك الديار بيته وكل طعام فيها

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ١٤/١٣.
(٢) انظر: السابق: ١٧/٢.

طعامه، أما الآن فإن المسلم يشعر بتلك الوحشة حتى في إقليمه ومحيطه غير البعيد، وذلك نتيجة لتهاون المؤمنين بتلك الشعبة من شعب الإيمان.

ولعلنا لو استحضرنا الشعور بعجب الله – تعالى – من صنيع الأنصاري وامرأته في إكرام الضيف – برغم حاجتهما وإيثارهما – لأثمر هذا في تقوية العلاقات بين المؤمنين، ونشر رايات الطمأنينة على المجتمعات.

ولعل من وجوه الحكمة في عجب الله – تعالى – من صنيع من يُكرم الضيف أن فاعل هذا يتخلق بأخلاق الله – تعالى –.

المبحث العاشر

عجب الله - تعالى - من قنوط عباده وسرعة إجابته .

أخرج أبوعبيد القاسم الهروي (ت ٢٢٤هـ) عن عبدالعزيز بن عبدالله ابن أبي سلمة بن أخي الماجشون، عن محمد بن عمرو يرفعه: (عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلِّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِهِ إِيَّاكُمْ)، ويرويه بعض المحدثين: (من أزلكم ...)، وأصل الأزل: الشدة، قال: وأُراه المحفوظ [(١)].

وقال البغوي الفراء (ت ٥١٦هـ): (وَفِي الْحَدِيثِ: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلِّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِهِ إِيَّاكُمْ» يُرْوَى هَذَا مِنَ إِلِّكُمْ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنِّي أَحْسَبُهَا مِنَ أَلِّكُمْ بِالْفَتْحِ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمَصَادِرِ، وَيُقَالُ: أَلَّ يَؤُلُّ أَلا وَأَلَا وَأَلِيلا، وَهُوَ أَنْ يَرْفَعَ الرَّجُلُ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ وَبِالْبُكَاءِ وَيَجْأَرُ فِيهِ)[(٢)].

ورواه ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ) قال حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنْبَأَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ،

---

(١) رواه أبوعبيد القاسم بن سلام: غريب الحديث: ٢٦٩/٢، وهو مرسل صحيح: فأبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سَلاَّمٍ الهروي، ثقة، مات سنة ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٥٠٩/٨، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ١١٠/٧، وعبدالعزيز" ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، ثقة من السابعة، توفي سنة ١٦٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب: ٣٤٣/٦، ترجمته برقم (٦٦٣)، ومحمد" بن عمرو بن عطاء العامري القرشي من رجال الكتب الستة، تابعي، ثقة، أدرك نحو عشرة من الصحابة منهم: أبو حميد الساعدي، وأبو قتادة الأنصاري، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو هريرة، وربيعة بن كعب الأسلمي، وزينب بنت أبي سلمة ابن عبد الأسد، ومالك بن أوس بن الحدثان. انظر: تهذيب التهذيب: ٤٥١/٣ .

(٢) شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي: ٣٦٥/١٤.

عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا) (١).

وجُلُّ روايات هذا الحديث جاءت بلفظ (ضحك ربنا) إلا رواية أبي عبيد القاسم والبغوي فقد جاءت بلفظ (عجب ربكم)، قَالَ ابن قتيبة بعد أن أورد اللفظين: (وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الْعَجَبَ وَالضَّحِكَ، لَيْسَ عَلَى مَا ظَنُّوا، وَإِنَّمَا هُوَ "عَلَى حَلٍّ عِنْدَهُ كَذَا، بِمَحَلِّ مَا يَعْجَبُ مِنْهُ، وَبِمَحَلِّ مَا يَضْحَكُ مِنْهُ"، لِأَنَّ الضَّاحِكَ إِنَّمَا يَضْحَكُ لِأَمْرٍ مُعْجِبٍ لَهُ ... لَمْ يُرِدْ أَنَّهُ عِنْدِي عَجَبٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: أَنَّهُ عَجِيبٌ عِنْد من سَمعه) (٢).

وهذا تأويل من ابن قتيبة، ويقصد بقوله: (على ما ظنوا ..): أهل الظاهر فهم يثبتون العجب والضحك لله على الحقيقة اللائقة به تعالى .

والحديث ينشر ظلال الرجاء، ويفتح أبواب الأمل، ويقطع سبيل اليأس، قال السندي: (قوله: "من قنوط عباده": القنوط هو اليأس، ولعل المراد هاهنا هو الحاجة والفقر، أي يرضى عليهم، ويُقْبِلُ عليهم بالإحسان إذا نظر إلى فقرهم وفاقتهم وذُلِّهم، وإلا فالقنوط من رحمته تعالى يوجب الغضب لا الرضا، قال تعالى: { لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ } [الزمر: ٥٣]، وقال: { وَلَا

(١) رواه ابن ماجه في السنن: المقدمة، بَابٌ: فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، برقم (١٨١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه وذكره في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٥٢)، ورواه أحمد في المسند: ١٠٦/٢٦، برقم (١٦١٨٧) من حديث أبي رزين العقيلي، وقال الأرناؤوط: (إسناده ضعيف) .

(٢) تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: ٣٠٥/١.

تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ... } الآية [يوسف: ٨٧]، إلا أن يقال: ذاك هو القنوط بالنظر إلى كرمه وإحسانه، مثل أن لا يرى له كرماً وإحساناً، أو يرى قليلاً فيقنط لذلك، فهذا هو الكفر المنهي عنه أشد النهي، وأما القنوط بالنظر إلى أعماله وقبائحه، فهو مما يوجب للعبد تواضعاً وخشوعاً وانكساراً، فيوجب الرضا، ويجلب الإحسان والإقبال من الله تعالى، ومنشأ هذا القنوط هو الغيبة عن صالح الأعمال، واستعظام المعاصي إلى الغاية، وكل منهما مطلوب محبوب، ولعل هذا هو سبب المغفرة لمن أمر أهله بإحراقه بعد الموت حين أيس من المغفرة ... قوله: "وقرب غِيَرِه"، ضبط بكسر معجمة، ففتح ياء: بمعنى تغير الحال، وهو اسم من قولك غيرت الشيء فتغير، وضميره لجنس العبد، والمراد تغير حاله من القوة إلى الضعف، ومن الحياة إلى الموت، وهذه الأحوال مما تجلب الرحمة لا محالة في الشاهد، فكيف لا يكون أسباباً عادية لجلبها من أرحم الراحمين، والأقرب أن الغِيَر بمعنى تغيير الحال وتحويله ... والضمير لله، والمعنى أنه تعالى يضحك من أن العبد يصير آيساً من الخير بأدنى شر وقع عليه مع قرب تغييره تعالى الحال من شر إلى خير، ومن مرض إلى عافية، ومن بلاء ومحنة إلى سرور وفرحة، لكن الضحك على هذا لا يمكن تفسيره بالرضا، قوله: "لن نعدم": مِنْ عدِمه- كعلمه-. إذا فقده، يريد أن الرب تعالى إذا كان من صفاته الضحك فلا نفقد خيره، بل كلما اجتمعنا إلى خيره وجدناه، فإنّا إذا أظهرنا الفاقة لديه يضحك فيعطي)[1].

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي: ٧٧/١.

المبحث الحادي عشر

عجب الله - ﷻ - من اعتقاد عبده أنه لا يغفر الذنوب إلا الله

قال أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا - ﷺ - وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ»، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: { سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } [الزخرف: ١٤]، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ». ثُمَّ ضَحِكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»(١).

وفي رواية للطبراني(ت ٣٦٠هـ): (إِنَّ اللَّهَ- ﷻ - يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)(٢).

---

(١) رواه أبوداود في سننه: كتاب: الجهاد، باب: مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا رَكِبَ، برقم (٢٦٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ورواه أحمد في المسند، برقم(٧٥٣)، من حديث علي بن أبي طالب، وقال الأرناؤوط: (حسن لغيره)، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده من أَحَادِيثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ برقم (١٣٤).

(٢) الدعاء لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، ص ٣٥٠، برقم (٧٨٧).

قصة هذا الحديث تأتي في سياق عمليٍّ لإتيان عمل من أعمال الطاعة التي تعجب الرب – سبحانه – وترضيه، يرويها عَلِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ بن نضلة الكوفي (تابعي ثقة من كبار الثالثة)، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا – ﷺ – وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ ... جعل يقول الذكر المشروع عند ركوب الدابة، ولذلك ترجم أبو داود على الحديث بقوله: (بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا رَكِبَ)، حتى قال: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، ثم ضحك.

قال ابن رسلان (ت ٨٤٤هـ) في شرحه: (ولم أعلم سبب ضحكه – أي علياً – وفيه أن الإنسان يفعل الفعل الحسن وإن لم يكن له داعية من نفسه تشبهًا بأهله ...)[1].

وواضح أن علياً – ﷺ – إنما ضحك اقتداء برسول الله – ﷺ – كما شهده، وأعتقد أنه لم يكن مجرد مقلدٍ، بل كان يدرك الحالة النفسية والإيمانية التي كان فيها رسول الله – ﷺ – وهو يخبر عن رضا الرب – سبحانه – باستغفار عبده وإقراره بين يديه بظلمه لنفسه وطلبه المغفرة، فيقول الله – ﷻ –: (يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي)، أي: لا يملك أن يزيل عقوبتها، وهذا بخلاف من يعتقد أن بعض البشر يملك الغفران ويمنحه لمجرد الاعتراف بين يديه.

إن هذا الاعتقاد إن صح من العبد كان دليلاً على يقين يغمر القلب ويملؤه بتعظيم الرب – سبحانه – حتى وإن خالطه عودٌ إلى الذنب .

فقد روى البخاري بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ

(١) شرح سنن أبي داود: أبو العباس أحمد بن حسين بن رسلان المقدسي: ٣٢١/١١.

- ﷺ - قَالَ: " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاَثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ "(١).

والعجب المذكور في الحديث فيه الخلاف المشهور، فأهل التأويل يقولون: (العجب الحقيقي لا ينسب إلى الله تعالى، وأن معناه أن الله ليرضى على عبده (إذا قال:) رب (اغفر لي ذنوبي) إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (يعلم) أي: علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، و(أنه لا يغفر الذنوب غيري) أي: ليس أحد يغفر المعصية غيري ولا يزيل عقوبتها إلا أنا) (٢).

ومن تمسك بظاهر النص قال: (هذا فيه صفة العجب، والله تعالى من صفاته أنه يعجب، وقد جاء ذلك في القرآن في إحدى القراءات: { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ } [الصافات: ١٢]، فإن في إحدى القراءات المتواترة { بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ } (٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب: التوحيد، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ } [الفتح: ١٥]، برقم (٧٥٠٧).

(٢) شرح سنن أبي داود: أبو العباس أحمد بن حسين بن رسلان المقدسي: ٣٢١/١١.

(٣) شرح سنن أبي داود: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

وأياً كان الخلاف في تفسير العجب المنسوب إلى الله في حديث البـــاب فإننا نعيش زماناً كثرت فيه الفتن، وكادت أن تغرقنا فيه الذنوب والمعاصي، حتى ألفها الكثيرون منا وصارت شيئا عاديًا بالنسبة لهم، فضلاً عن أن يُقِرَّ بالذنب ويطلب المغفرة من الله – ﷻ –.

وقد جاء في القرآن الكريم وصف المحسنين بأنهم: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الـــذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُـــمْ يَعْلَمُـــونَ } [آل عمـــران: ١٣٥]، ووصف الله – ﷻ – نفسه بأنه غافر الذنب وقابل التوب، ولا يغفل ذو اللب الحريص على أن يعجب منه ربه سبحانه عن هذا السياق التقريـــري فـــي قوله تعالى: { وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ } ؟ فيُقرُّ في كل أوقاته قائلاً: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)، فيقول الله – ﷻ –: (أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِـــهِ ؟ غَفَـــرْتُ لِعَبْـــدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ)، ولا يبعد أن يكون حديث البخاري السابق حواراً دار فـــي الملأ الأعلى يباهي الله فيه ملئكته بهذا العبد الموقن في ربه أنـــه لا يغفـــر الذنوب إلا هو سبحانه.

المبحث الثاني عشر

عجب الله – ﷻ – من رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة

قال النسائي (ت ٣٠٣هـ): أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ – ﷻ – يَعْجَبُ مِنْ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ – وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: لَيَضْحَكُ مِنْ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ – ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ "(١).

قال السندي (ت ١١٣٨هـ): (يعجب من رجلَيْن: الْعجب وَأَمْثَاله مِمَّا هُوَ من قبيل الانفعال إِذا نسب إِلَى الله – تَعَالَى – يُرَاد بِهِ غَايَته، فغاية الْعجب بالشَّيْء استعظامه، فَالْمَعْنى عَظِم شَأْن هذَيْن عِنْد الله، وَقيل: بل الْمُرَاد بالعجب فِي مثله التعجيب، فَفِيهِ إِظْهَار أَن هَذَا الْأَمر عَجِيب، وَقيل: بل الْعجب صفة سمعية يلْزم إِثْبَاتهَا مَعَ نفي التَّشْبِيه وكَمَال التَّنْزِيه كَمَا هُوَ مَذْهَب أهل التَّحْقِيق فِي أَمْثَاله، وَقد سُئِلَ مَالك عَن الاسْتوَاء فَقَالَ: الاسْتوَاء مَعْلُوم، والكيف غير مَعْلُوم، والإيمان بِهِ وَاجِب وَالسُّؤَال عَنهُ بِدعَة وَمثله الْكَلَام فِي الضحك وَالله تَعَالَى أعلم) (٢).

ورواه مسلم بلفظ (يضحك) فقط دون العجب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ: "يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: "يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ

---

(١) رواه النسائي في المجتبى: كتاب: الجهاد، اجْتِمَاعُ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ، برقم (٣١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي .

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن): محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، السندي: ٣٨/٦.

– ﷻ – فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ، فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ – ﷻ – فَيُسْتَشْهَدُ"(١).

وقول أبي هريرة – ﷺ –: (وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: لَيَضْحَكُ مِنْ رَجُلَيْنِ ...) صريح في ثبوت الحديث بلفظي العجب والضحك، وبينهما تقارب في المعنى، وكل منهما صفة لله – ﷻ – على ما يليق بجلاله وكماله.

قال ابن الملقن: "يعجب من رجلين" نقل ابن الجوزي عن أكثر السلف أنهم كانوا يمنعون من تفسير مثل هذا ويمرونه كما جاء، قَالَ: وينبغي أن تُرَاعَى قاعدة في هذا قبل الإمرار وهي: أنه لا يجوز أن يُحْدَثَ لله صفة ولا تشبه صفاته صفات الخلق فيكون والعياذ بالله معنى إمرار الحديث الجهل بتفسيره) (٢).

وإذا أردنا استظهار بعض وجوه الحكمة في عجب الله – تعالى – من هذين الرجلين فلعل ذلك يتمثل في اجتماع كلاًّ من القاتل والمقتول في الجنة، فهو شيء معجب أن يؤول أمر القاتل إلى الجنة، فهذا يقتضي أنه أحسن التوبة إلى ربه – ﷻ – فيسر الله له سبباً يوصله إلى الجنة .

قال الشيخ آدم الإثيوبي: (فوائد الحديث:(منها): ما ترجم له المصنّف – ﷺ –، وهو اجتماع القاتل والمقتول في سبيل اللَّه تعالى في الجنّة. (ومنها): بيان فضل اللَّه تعالى، وسعة رحمته، حيث يجعل كلّا من المتقاتلين

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الإارة، باب: الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، برقم (١٨٩٠) .

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد بن الملقن المصري: ٢١١/١.

من أهل الجنّة، مع أن الكافر قتل المسلم ظلمًا وعدوانًا، وجحدًا لنعمه تعالى، لكنه بواسع فضله، وسعة رحمته تفضّل عليه بالتوبة، والقتال في سبيله، حتى قُتل، فدخل الجنّة، { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الجمعة: ٤] ... (ومنها): أن فيه إثبات صفة العَجَب للَّه سبحانه وتعالى، مع تنزيهه تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل. وفيه أيضًا إثبات صفة الضحِك له سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله تعالى. (ومنها): أن كلّ من قُتل في سبيل اللَّه تعالى، فهو في الجنّة. قاله ابن عبد البرّ (ومنها): أن العبرة بالخواتم، فلو عمل العبد دهرًا من عمره أنواع الكبائر كلها، ثم وفّقه اللَّه تعالى في آخر حياته للتوبة، والعمل الصالح، محيت عنه خطاياه كلها، وصار من أهل الجنّة) [1].

(١) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»: محمد بن علي ابن آدم الإثيوبي: ٢٦/٢٦٤.

الخاتمة

الحمد لله ختاماً كما استحق الحمد ابتداءً والصلاة والسلام على النبي الخاتم، وبعد فهذه أهم النتائج التي فتح الله باستخلاصها من هذه الدراسة:

١. معرفه المؤمن بأسماء الله – تعالى – وصفاته تؤثر في الإيمان بالله من حيث الزيادة والنقصان وتؤثر في القلوب، فالعلم بصفات الله – ﷻ – يورث العبد سلوكا وأخلاقاً راقية تسمو به نحو الكمال .

٢. فهم معاني أسماء الله – تعالى – وسيلة إلى معاملته بثمراتها، من الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل.

٣. إمكانية الوصول إلى نقطةٍ وسطٍ تجمع فرقاء المؤمنين بصفات الله – ﷻ – من خلال جمع الأحاديث التي ورد فيها إثبات العجب لله – ﷻ – ودراستها بعيدًا عن المعارك الكلامية التي تضيع الجهود وتؤسس للعداوة بين المؤمنين.

٤. العجب وإن أُسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العباد، فيجوز إطلاقه على الله – ﷻ – مع اعتقاد عدم المشابهة أو التكييف.

٥. التعجب عند أهل التأويل: انفعال يحدث فِي النَّفس عِنْد الشُّعُور بِأَمْر خَفِي سَببه وَخرج عَن نَظَائِره، فَلَا يُطلق على الله أَنه متعجب لِأَنَّهُ لَا يخفى عَلَيْهِ شَيْء.

٦. الأصل في باب الصفات عند أهل الظاهر: (أَن يُوصف الله – تعالى – بِمَا وصف بِهِ نَفسه أَو وَصفه بِهِ رَسُوله وَبِمَا وَصفه بِهِ السَّابِقُونَ الْأَولونَ لَا يُتجاوز الْقُرْآن والْحَدِيث).

٧. أصحاب الاتجاه الثاني كما أثبتوا العجب على الحقيقة فقد فسروه

بلازمه، أي ما يترتب عليه وهو الرضا والاستعظام والثواب.

٨. ثمت فرق بين من يتأول الصفة ومن يفسرها بلازمها، فالمتأول ينفي حقيقة الصفة أصلًا ولا يثبتها، ومن يفسرها بلازمها يثبت حقيقة الصفة ويفسرها بلازم من لوازمها أو أثر من آثارها، ولا يخرج بهذا عن إثبات الصفة على ظاهرها.

٩. الجهل بأسماء الله – تعالى – وصفاته، يقارب التعطِّيل لحقائقها، وقد أثَّر هذا الجهل على نفوس الكثيرين، في حياتهم السلوكية والتربوية تأثرًا سلبيًّا كبيرًا، وأفرز بعض المفاهيم والأفكار والأحكام المنحرفة التي أثَّرتْ على المجتمع المسلم إلى اليوم .

١٠. أَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، فَلَا تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْكُمَّلِ مِنَ المؤمنين .

١١. منْ يَجهلُ عن الله – أو ينفي عنه – أنه أظهرَ إعجابه بعملِ بعضِ طاعاتٍ مخصوصةٍ يتقربُ إليه بها عبادهُ، فلا يأبه لهذا، استعاض عن ذلك بالحرص على عمل ما يُعجِب المخلوقين، فوقع في الشرك تارة، وفي الرياء تارة، وفي الغفلة أخرى .

١٢. أفادت أحاديث العجب أن الله يباهي ملائكته بأهل طاعته من البشر .

١٣. ليس المقصود راعي الغنم بذاته بل كل من صلي وحافظ على الصلاة فإنه بذلك يعجب الرب – سبحانه – وإنما خص راعي الغنم بالذكر لأنه برغم شغله بقطيعه يترك هذا كله عندما تحضره الصلاة .

١٤. وجه الحكمة في عجب الله – تعالى – ممن يقوم لقيام الليل أَنَّ قِيَامَهُ

مِنْ فِرَاشِهِ مَعَ مَيْلِ النَّفْسِ إِلَيْ النوم والراحة مُتَوَجِّهًا إِلَى التَّهَجُّدِ أَصْعَبُ وَأَشَقُّ .

١٥.الله – ﷻ – يعجب ويُعجِّب ملائكته من أهل طاعته ويدعوهم ليعجبوا فيقول: (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ ...)، (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي).

١٦.عجب الرب – سبحانه – من العبد المؤمن الذي لديه إحساس بالمسؤلية تجاه أمته والدفاع عنها في ميدان المعركة يلفت الأنظار إلى ضرورة الثبات في كافة الميادين، وعدم الفرار عند الشعور بالانهزام.

١٧.يعجب الله – تعالى – من الشاب العفيف ويكافؤه بأن يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

١٨.الحكمة في عجب الله – تعالى – من الشاب العفيف: أن الشاب يغلب فيه الانحراف والتقصير والميل إلى الشهوات، فيرضى الله تعالى من هذا الشاب أن ينتصر على شهواته ورغباته .

١٩.يعجب الله – تعالى – من مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَمُلَاطَفَتُهُ لَهَا وَمُضَاحَكَتُهَا وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ لأن في ذلك ألفة وغرس محبة .

٢٠.المداعبة تدل على سعة الصدر وانبساط النفس وصفاء القلب ولين العريكة وسهولة الخلق، وهي مؤشر حالة نفسية ومزاجية معتدلة .

٢١.قد تكون الحكمة في عجب الرب – سبحانه – من مُدَاعَبَةِ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ، أن الكثير من الرجال قد يسرف في استنفاد طاقته في المزاح والدعابة خارج البيت مع أصحابه – أو في الحرام – فإذا عاد إلى

البيت لم يبق لأهله شيء، فيكون الكدر والكآبة هو ما يخيم بظلاله على البيت.

٢٢. إذا كَانَ من فَضْلَ الله تعالى وكَرَمَهُ أن يعجب ممن يقادون إلى الجنة بالسلاسل، فَكَيْفَ يَكُونُ فَضْلُهُ وكَرَمُهُ، وَبِرُّهُ، وَإِحْسَانُهُ بِأَقْوَامٍ رَغِبُوا فِي خِدْمَتِهِ، وَتَحَمَّلُوا الْمَشَقَّاتِ، وَالْمَكَارِهَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ، وَسَأَلُوهُ مَا أَعَدَّ لَهُمْ بِأَلْسِنَةِ الِافْتِقَارِ، وَمَدُّوا إِلَيْهِ طَلَبًا أَيْدِيَ الِاضْطِرَارِ، وَاسْتَعَاذُوا بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ، وَنَارِهِ ؟

٢٣. من وجوه الحكمة في عجب الله – تعالى – من صنيع من يُكرم الضيف أن فاعل هذا يتخلق بأخلاق الله – تعالى .

٢٤. عجبُ الله – تعالى – مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، ينشر ظلال الرجاء، ويفتح أبواب الأمل، ويقطع سبيل اليأس .

٢٥. اعتقاد العبد أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وطلبه المغفرة من ربه، أمر يعجب الله – ﷻ –.

٢٦. من وجوه الحكمة في عجب الله – تعالى – من الرجلين يقتل أحدهما الآخر قيدخلان الجنة يظهر في اجتماع كلاً من القاتل والمقتول في الجنة، فهو شيء معجب أن يؤول أمر القاتل إلى الجنة، فهذا يقتضي أنه أحسن التوبة إلى ربه – ﷻ – فيسر الله له سبباً يوصله إلى الجنة.

كتبه

د/ عماد علي عبد السميع

مصادر البحث ومراجعه

١. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف بن أبى بكر المقدسي الحنبلى، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ .
٢. الإبانة الكبرى: أبو عبدالله عبيدالله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، ت: رضا معطي، وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٣. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط١، دار المنهاج السعودية ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م .
٤. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٥. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: الملا علي القاري، ت: محمد لطفي الصباغ، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت.
٦. الإفصاح عن معاني الصحاح: أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن ١٤١٧هـ.
٧. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت: د/ يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٨. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق ابن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي الحنفي، ت: محمد حسن محمد وآخر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٩. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ .
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١١. تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط٢، المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق، بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
١٢. التربية الجنسية في مدارس ألمانيا .. كيف يتعامل اللاجئون معها ؟: شكري الشابي، مقال بالشبكة العنكبوتية، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/٦م .
١٣. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، ت: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ.
١٤. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٢٦هـ.
١٥. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط١، دار المعرفة ٢٠٠١م.
١٦. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الصنعاني، ت: د/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

١٧.التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٨.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: د/ عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٩.الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط١، دار الرشد، الرياض ١٤٢٨هـ.
٢٠.الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٣هـ.
٢١.حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه: محمد بن عبدالهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.
٢٢.الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: أبوالقاسم الأصبهاني، ت: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٢٣.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
٢٤.سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٢٥.السنة للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٦.السنة والرد علي الجهمية لعبد الله بن أحمد بن حنبل، ت: ابن علي القفيلي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.
٢٧.السنة: محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، ت: سالم أحمد السلفي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٤٠٨هـ.
٢٨.السنن: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: صدقي جميل العطار، ط١، الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ. .
٢٩.السنن لأبي عيسي محمد بن عيسي بن سورة الترمذي، ت: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٣٠.السنن لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٣١.السنن لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ت: صدقي جميل العطار، ط: دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٣٢.السنن الكبريللحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٣٣.شرح الحديث القدسي يعجب ربكم من راعى غنم في راس شظية: أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطى، موقع (فذكر) بالشبكة العنكبوتية، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠١٩/٧/٢٨م.
٣٤.شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: د/ عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٣٥.شرح صحيح البخارى: أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٣٦.شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٧.شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٨.شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، ت: د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٣٩.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٤٠.عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
٤١.غريب الحديث: أبوعبيد القاسم بن سلام الهروي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.
٤٢.غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ت: عبد الكريم الغرباوي، وعبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٣.غريب الحديث: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: د/ عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٤٤.فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، ت: محمود شعبان وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٤٥.فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٦.فتح المنعم شرح صحيح مسلم: موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٤٧.فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ .
٤٨.كشف الخفاء ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، ت: عبدالحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٤٩.لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي (ابن منظور)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، بدون.
٥٠.لماذا تخشى المجتمعات العربية تدريس الجنس ؟ محمد صلاح، مقال بالشبكة العنكبوتية، تم استرجاعه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/٦م .
٥١.المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

٥٢.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي بن (سلطان) محمد، الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٥٣.المسند: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .
٥٤.مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة ودار التراث.
٥٥.مشكل الحديث وبيانه: محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، أبو بكر، ت: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
٥٦.المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة.
٥٧.مطالع الأنوار على صحاح الآثار: إبراهيم بن يوسف ابن قرقول، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
٥٨.المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٥٩.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٦٠.النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثير الجزري، ت: عبدالحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٥م.